علو الهمة

فى ضوء السنة النبوية دراسة حديثية موضوعية

إعداد

د/ شريف محمد أبوزكرى أبوبكر

مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة

بالمنوفية-جامعة الأزهر-جمهورية مصرالعربية

علو الهمة فى ضوء السنة النبوية دراسة حديثية موضوعية

شريف محمد أبوزكرى أبوبكر
قسم الحديث وعلومه ، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية ، جامعة الأزهر ، المنوفية ، مصر.
البريد الإلكتروني : shreef Ahmad.adv@azhar.edu.eg

الملخص:

إن الله ﷻ يحب معالى الأمور، ومفتاحها هو الهمة، والهمة باعث في النفس إلى التسامى، والعلو في المراتب، وبلوغ ذلك يحتاج إلى استنهاض النفس لعوالى الهمم، وترويضها على الأوامر والمندوبات، وتحليها بشمائل الأخلاق، وإشباع رغبتها بالمعرفة، واكتساب العلوم، وقد تناولت في هذا البحث المقصود بعلو الهمة، وأدلتها من الكتاب والسنة المشرفة، كما وقفت على شيء من عناية السنة النبوية بها، ثم تعرضت في مبحث خاص إلى الوقوف على الأساليب الدافعة إلى رقى الهمم من خلال الوقوف على الأحاديث الواردة في ذلك، وخلص البحث بأن صاحب الهمة العالية عليه أن يجول في معالى الأمور بحيث لا يترك شيئا من صوى الإيمان إلا وأتى به، وهو مع كل هذا يتعاهد همته عن السقوط إلى السفول والانحطاط، وقد ظهر من خلال البحث حرص السنة المشرفة على ارتباط الهمم باللهﷻ، وتعلقها بما عندهﷻ من النعيم، وأنها وضعت وسائل لرقى الهمم، والانطلاق بها إلى آفاق أعلى، تبدأ بصدق النية من خلال تفريغ القلب من الشواغل، وقطع دابر الوسوسة والأمانى الزائفة، ثم تحديد الأهداف بأن تكون في دائرة أسمى الكمالات، ورأس الكمالات رضوان اللهﷻ، ثم الإرادة الجادة في بذل الجهد للظفر بالغايات، والتغلب على المصاعب التى تعترض ذوى الهمم، ثم المواظبة على الأعمال الصالحة باستمرار المجاهدة فيها، وعدم التهاون أو الانقطاع عنها؛ لينتقل ذو الهمة في المراقى، ثم الدخول في المنافسة مع أقرانه، يسابقهم بنشاط وجد، وبتحقيق هذه الوسائل يكون المصير السعادة، ولا شك أن بعض السعادات أشرف من بعض، وتفاوت مراتب السعادة راجع إلى تفاوت الاجتهاد في تحصيل تلك الوسائل، وهذا النوال العظيم لا يمكن قط أن يكون له عوض، أو بديل عند ذوى الهمم العالية ولو كانت الدنيا بأجمعها، وخلص البحث إلى أن هذه الوسائل ضرورة حتمية لعلو الهمة، وبدونها توهن الهمم، وتصاب بالفتور والكسل.

الكلمات المفتاحية: علو، الهمة، دراسة، حديثية، موضوعية.

The Elevation of Aspiration in Light of the Prophetic Sunnah:
A Thematic Hadith Study

Shereef Mohamed Abou Zakari Abou Bakr
Department of Hadith and Its Sciences, Faculty of Theology and Islamic Preaching, Al-Azhar University, Menoufia, Egypt.
University E-mail: shreefAhmad.adv@azhar.edu.eg

Abstract:
Allah loves noble matters, and their key is high aspiration. Aspiration serves as an internal motivator that drives the soul toward excellence, higher ranks, and noble achievements. Attaining this requires stimulating the soul toward elevated aspirations, training it in obligations and recommended acts, refining it with virtuous morals, fulfilling its thirst for knowledge, and acquiring sciences. In this research, I have explored the meaning of high aspiration and its evidences from the Qur'an and the noble Sunnah. I have also highlighted the care given to it in the Prophetic traditions. Additionally, I have dedicated a special section to examining the methods that promote the elevation of aspirations by analyzing the relevant hadiths. The study concludes that a person of high aspiration must strive for noble deeds, ensuring that no aspect of faith is neglected. Moreover, he must continuously monitor his aspirations to prevent them from descending into lowliness or degradation. The research has demonstrated the emphasis of the noble Sunnah on linking aspirations to Allah and directing them toward the eternal rewards He has prepared. The Sunnah also establishes various means for elevating aspirations, starting with sincerity of intention by purifying the heart from distractions, eliminating false hopes and whisperings of the devil, and then setting goals within the highest realms of perfection, with the ultimate goal being Allah’s pleasure. It further emphasizes the importance of earnest willpower in striving for these objectives, overcoming obstacles, and persevering in righteous deeds with continuous self-discipline—without laxity or discontinuation—so that one advances in ranks.

Keywords: High, Aspiration, Hadith study, Thematic study.



المقدمة

الحمد للَّه الماجد، البصير، اللطيف، الخبير، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى ، ودبر الخلائق فأكمل التدبير، وجعل منهم فريقا في الجنة وفريقا في السعير، وأرسل رسله الكرام مبشرين ومنذرين ، وختمهم بسيد البشر خير نبى، وأصدق نذير، السراج المنيرﷺ ، فأرسله رحمة للعالمين من نار تلظى، وحفظ دينه من التحريف والتبديل، وحذر جميع خلقه من مخالفتهﷺ فقال ﷻ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (١)

وبعد:

فالناس فى هذه الحياة متفاوتون ، منهم الحاكم والمحكوم ، والغنى والفقير ، والمُتَّقد والخامل ، وهذا التنوع ضرورى لتستقيم الحياة ، ويكون الجميع فى حاجة بعضهم إلى بعض كما قال الله تعالى﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٢) ، وأما فى الدار الآخرة فالسخرة منتفية قطعا؛ إذ الجميع متساوون فى أصل النعيم وإن تفاوتوا فى المنازل والرتب ، وهذا التباين مرجعه إلى تفاوت الهمم، فمن ضعفت همته وقصرت دنت منزلته، ومن ارتقت همته وارتفعت علت منزلته.

وقد أرست السنة النبوية قاعدة وهى أن الآخرة ثقيلة فى ميزان اللهﷻ ، وأن الدنيا لا تزن فى الآخرة جناح بعوضة ، روى الإمام الترمذى عَنْ مُسْتَوْرِدٍ الفِهْرِى ﷺ(٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ:"مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ ؟". (٤)

(١)سورة النساء الآية ٦٥

(٢)سورة الزخرف من الآية ٣٢

(٣)المستورد بن شداد بن عمرو بن حِسْل بن الأحب بن حبيب القرشي، الفهري، المكّي. روى عن: النبيّﷺ ، وعن أبيه. وروى عنه: قيس بن أبي حازم، ووقّاص بن ربيعة، ومعبد بن خالد، وآخرون. وشهد فتح مصر ،وتوفي بالإسكندريّة سنة خمس وأربعين من الهجرة. الإصابة فى تمييز الصحابة ٧١/٦ ، ٧٢

(٤)أخرجه الترمذى بسنده عن المستورد، كتاب الزهد/باب ما جاء فى هوان الدنيا على اللهﷻ٥٦١/٤ رقم (٢٣٢٣)، وقال:"حديث حسن صحيح".

من هذه القاعدة حرصت السنة المشرفة على توجيه أنظار الأمة إلى علو الهمة ، وجذب انتباههم إلى الوسائل التى تعينهم على تحقيق ذلك ، فأكرم ما تمتد نحوه أعناق الهمم، وأشرف ما ترمق إليه الأحداق هو بلوغ الزلفى عند الله تعالى، وذلك يبدأ بالانقطاع من متعلقات هذه الفانية لتكون فى مدى أرحب ومجال أوسع لا نظير له وهو الآخرة ، فالله الله فى همة تأخذ العبد من المعصية إلى الطاعة ، ومن الطاعة إلى التذلل إليه ، ومن الافتقار إليه إلى التزكية ، ومن التزكية إلى الأنس بهﷻ، وقد أسميت هذا البحث" **علو الهمة فى ضوء السنة النبوية، دراسة حديثية موضوعية** ".

وأما أهمية الموضوع فيبرز ذلك فى النقاط الآتية:

١- إبراز ثراء السنة النبوية فى تنشيط الهمم، واستنهاض العزائم لمغالبة العوائق التى تعترض طريقها خاصة فى عالمنا هذا الذى نعيش فيه، فهو عالم متلاطم أمواجه فى الصراعات ، وصادح بالمادية فى كل جوانبه ، فأحببت أن أتقلب فى صفحات السنة النبوية؛ لأقتبس من عبير النبوة دررا تعلو بهمتنا ،وتأخذ بأيدينا من المادية ومصائبها إلى الروحية وحلاوتها ، ومن اللهث وراء الفانى إلى إيثار الباقى ، ومن التدنى والتسفل بملامسة الأرض إلى العلو والارتقاء فى أفق السماء.

٢- إبراز شمولية هذا الموضوع لكافة مجالات معالى الأمور، فهو داخل فى صنوف العبادات، وألوان المعاملات، وفنون العلم، وكافة مناحى الحياة.

٣- إظهار الصورة الراقية التى يستحقها الصحابة الكرامﷺ الذين عاصروا الوحى والتنزيل، ولفت الأنظار إلى علو هممهم فى الإيمان والعلم ، فكانوا خير قدوة ، وأئمة هدى ونور لمن بعدهم.

٤- الكشف عن غمر مهم وفياض فى غرس روح الإيجابية والتقدم بين الأفراد والمجتمعات يمكن البناء عليه فى ارتقاء الأفكار وتزكية النفوس.

وأما عن أسباب اختيار الموضوع فإن ذلك يرجع إلى نقاط أهمها:

١- إلقاء الضوء على رافد عريق من روافد العلوم والمعرفة وهو الدراسة الحديثية الموضوعية .

٢- جمع بعض من الكنوز النبوية الباعثة على علو الهمم ، وتنشيط العزائم فى نيل مهمات الأمور، وإيثار الهمة على الدعة.

٣- رغبت فى جمع مادة علمية فى هذا الموضوع؛ لتكون نبراسا ومنارة لهداية هذا الجيل، يستعين بها أرباب الأسر فى توجيهاتهم، وكذا الدعاة إلى الله تعالى فى دعوتهم.

٤- إن همم الناس أضحت منصرفة فى عصرنا إلى سفاسف الأمور وحقيرها، فأحببت أن أبرز وأؤكد من خلال الأحاديث النبوية خطأ ذلك، وأن علو الهمة موطنه الحقيقى هو فى معالى الأمور وليس فى سفاسفها.

٥- إن الراغب إلى الله ﷻ ، والسالك إلى الدار الآخرة لا بد له من همة تحركه وترقيه، فأحببت أن أعيش مع الأحاديث النبوية الواردة فى ذلك ؛ لأستفيد وأُفيد غيرى؛ رجاء أن يريد الله ﷻ لى ولغيرى الخير فى الدنيا والآخرة.

وأما الدراسات السابقة:

فبعد سؤال أهل التخصص من السادة المحدثين عن هذا الموضوع ، والبحث والتنقيب فى سجلات الرسائل العلمية ، وثنايا فهارس المكتبات، وكذا المجلات العلمية التى تهتم بنشر البحوث العلمية الخاصة بالحديث الشريف وعلومه ، وتصفح الشبكة العنكبوتية وجدت دراسات عدة ذات صلة بهذا الموضوع ، أكتفى بذكر أهمها:

١- "الهمة طريق إلى القمة" من تأليف الأستاذ مُحَمَّد بن حَسَن بْن عَقيل مُوسَى الشَّرِيْف، وقد طبعته دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع

بالسعودية سنة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، وتناول فيه المؤلف تعريف الهمة، وأهميتها، ووسائل ترقيتها .

٢- "علو الهمة" للشيخ محمد إسماعيل المقدم ، وقد طبعته دار الإيمان للطباعة والنشر بالإسكندرية سنة ٢٠٠٤م، وتناول المؤلف فى كتابه تعريف الهمة، وخصائص كبير الهمة، ومجالات علو الهمة، مع ذكر نماذج عن السلف فى ذلك ، وأهم الأسباب التى تؤدى إلى انحطاط الهمم ، وتوسع المؤلف فى الاستدلال بالقرآن، ونقل أقوال السلف والشعر والقصص الباعث على تنشيط الهمم، وساق أيضا عددا قليلا من الروايات الحديثية فى كتابه.

٣- "الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها" للشيخ محمد إبراهيم الحمد، وقد طبعته دار خزيمة بالسعودية سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، وتناول فيه المؤلف تعريف الهمة، ومقوماتها، ومعوقاتها، وأصناف الناس فيها، واستفاض فى ذكر شرف الهمة، وبسط كثيرا من الأقوال المأثورة فيها.

٤- "إيقاظ أولى الهمم العالية إلى اغتنام الأيام الخالية" للشيخ عبد العزيز المحمد السالمان ، وقد طبعته دار المدينة بالسعودية سنة ١٤٢٠هـ ، وأورد فيه المؤلف كثيرا من الحكم وأقوال السلف فى فضل الباقية، وذم الفانية.

٥- الأربعون المعالى فى علو الهمة وقوة الإرادة من السنن الصحاح الغوالى للدكتور حمزة بن فايع الفتحى، وهو بحث منشور بجامعة الملك سعود بالسعودية سنة ١٤٤٠هـ ، جمع فيه المؤلف أربعين حديثا متنوعة فى فضل علو الهمة، وأهميتها،ومقوماتها ، وقد أورد تلك الروايات سردا ، وذكر عقب كل رواية الفائدة الحديثية منها لكنه يخلو من الدراسة الموضوعية.

وقبل كل هؤلاء فإن بعض العلماء قديما قد عقدوا فى بعض مؤلفاتهم العلمية فصلا خاصا فى علو الهمة، منهم الإمام ابن الجوزى فى كتابه صيد

الخاطر[١] ،والإمام عبد الله الهروى فى منازل السائرين [٢]، والإمام ابن القيم فى مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين[٣] ، والإمام ابن حمدون فى التذكرة الحمدونية[٤] ، وغيرهم.

وعلى كل فإنى لم أقف – حسب علمى- على كتاب عنى فيه أحد من الباحثين أو المؤلفين بجمع الروايات الحديثية المتعلقة بعلو الهمة، ودراستها دراسة موضوعية ، واستنباط أهم المقاصد والوسائل المعينة فى ذلك ، وهذا الذى سوف يتناوله البحث إن شاء الله.

وأما حدود البحث:

هذا الموضوع يبحث فى أهم النقاط التى يمكن بها تعزيز علو الهمة ، وارتقائها فى بث روح التزكية، ورفع مستوى النشاط والتقدم.

وأما مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث المحورية فى أن واقع الأمة الإسلامية المعاصر يفتقر إلى المولِّد الأساسى للإبداع والنهوض فى جميع الجوانب ، وأخص بالذكر الجانب الروحى ، وهذه المشكلة لا بد من إيجاد الحلول المناسبة لها، وتعد علو الهمة طوق النجاة للخروج من هذه المشكلة.

وأما أسئلة البحث: يجيب البحث عن هذه الأسئلة:

١- ما المقصود بعلو الهمة؟

٢- ما هى منهجية السنة النبوية فى تحقيق علو الهمة ؟

٣- ما هى أسمى المحفزات التى عززت السنة النبوية تأصيلها فى راغب الهمة العالية؟

(١) صيد الخاطر ٢٥٠/١

(٢) منازل السائرين ٨٦/١

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٥/٣

(٤) التذكرة الحمدونية ٢٨/٢

وأما منهجى فى البحث وخطوات العمل فيه:

فقد اعتمدت فى البحث على منهجين ، الأول: المنهج الاستقرائى، ومن خلاله استقرأت المادة العلمية، واستخرجتها من بطون المؤلفات.

وأما المنهج الثانى: فهو المنهج التحليلى الاستنباطى، ومن خلاله قمت بدراسة المسائل وتحليلها بالتعرف على النقاط التى تتناولها، واستنباط أقوال أهل العلم فيها.

وأما عن معالم منهجى فى البحث فهو كالآتى:

١- حرصت فى غالب البحث على أن يكون موطن الاستدلال من الصحيحين أو أحدهما؛ لأنهما مما أجمعت الأمة على قبولهما، ولشهرة أحاديثهما بين المتخصصين وغيرهم.

٢- حرصت على أن تكون الأدلة والنماذج التطبيقية التى أسوقها من السنة النبوية متنوعة فى شتى مجالات علو الهمة من العبادات ، والمعاملات، والعلم ، وليست محصورة فى مجال واحد بعينه.

٣- لم أقصد استيعاب كل الأحاديث والنماذج الواردة فى السنة النبوية داخل كل نقطة من نقاط البحث حرصا على الاختصار، وإنما أسوق ما يؤكد هذه النقطة، وضرورة حتميتها فى علو الهمم.

٤- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى السور الواردة فيها فى المصحف مقرونة بذكر أرقامها.

٥- قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصيلة، فإن كانت فى الصحيحين أو أحدهما قمت بتخريجها منهما ، وإن كانت فى غيرهما خرجتها من أحد مصادر السنة مع الحكم عليها بإيجاز.

٦- لم أستخدم الرموز عند التخريج، فإذا قلت أخرجه البخارى فإنما أعنى به فى كتابه الصحيح، وإذا قلت أخرجه مسلم فأعنى به صحيحه ، وإذا قلت أخرجه أبوداود فأعنى به سننه ، وإذا قلت أخرجه الترمذى فأعنى سننه ، وإذا قلت أخرجه النسائى فأعنى سننه الكبرى ، وإذا قلت

أخرجه ابن ماجه فأعنى سننه ، وأما عن باقى المصادر فإنى أبينها مع ذكر الكتاب، والباب، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث.

٧- قمت ببيان غريب الحديث معتمدا على الكتب المؤلفة فى ذلك.

٨- قمت بتوثيق المنقول بذكر مصدره أو مرجعه فى الهامش ، أمـا كافة البيانـات الأخـرى المتعلقـة بالمصـدر فأذكرهـا فـى فهـرس المصـادر والمراجع فى نهاية البحث.

وأمـا خطـة البحـث: فتشـتمل علـى مقدمـة ، ومبحثين ، وخاتمـة ، وفهـارس علمية.

أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وحدود البحث ، ومشكلة البحث ، وأسئلة البحث ، ومنهج البحث .

وأمـا المبحث الأول: ففيه التعريف بعلو الهمة، ومدى عناية السنة النبوية بها، وتحته مطالب:

المطلب الأول: مفهوم علو الهمة.

المطلب الثانى: الأدلة من الكتاب والسنة على علو الهمة.

المطلب الثالث: عناية السنة النبوية بعلو الهمة.

وأما المبحث الثانى: ففيه منهج السنة النبوية فى تعزيز أساليب تحقيق علو الهمة ، وتحته مطالب:

المطلب الأول: ضرورة اقتران علو الهمة بالقصد والتجرد لله تعالى.

المطلب الثانى: ضرورة اقتران علو الهمة بتحديد الهدف .

المطلب الثالث: ضرورة اقتران علو الهمة بالعزيمة.

المطلب الرابع: ضرورة اقتران علو الهمة بالمثابرة.

المطلب الخامس: ضرورة اقتران علو الهمة بالسبق والمنافسة.

ثم بعد ذلك تكون الخاتمة ، وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم أخيرا تكون الفهارس العلمية.

المبحث الأول

التعريف بعلو الهمة ، ومدى عناية السنة النبوية بها ، وتحته مطالب:

المطلب الأول: مفهوم علو الهمة.

لفظ العلو: مصدر علا يَعْلُو عُلُوّاً، وهو السمو والارتفاع، يقولون: تعالى النهار، أي ارتفع[١]، وفى المعجم الوسيط: العلو من كل شَيْء أرفعه[٢]،وقال ابن دريد الأزدى:"العُلْو: ضد السُّفل، وتسمّي الْعَرَب الْعَالِيَة عَلْواً، فَيَقُولُونَ: جَاءَ من عَلْوَ يَا هَذَا، وَمن عُلْويّ"[٣]

وأما لفظ الهِمَّةُ:"واحدةُ الهِمَمِ،يقال: فلانٌ بعيدُ الهمَّةِ بكسر الهاء وفتحها،وهَمَّ بالشئ: أراده"[٤]، وقال الخليل:"الهمّةُ:"ما هَمَمْتَ بهِ من أَمْرٍ لتَفْعَلَهُ،يُقالُ:إنّه لعَظيمُ الهِمَّةِ، وإنّه لصغيرُ الهِمَّة"[٥]، وَقَالَ أبو البقاء العُكْبَرِيُّ:" الهِمَّةُ: اعْتَنَاءُ القَلْبِ بِالشَّيْءِ"[٦]، وَلِهَذَا يمدح بهَا الْإِنْسَان فَيُقَال فلَان ذُو همة، وَذُو عَزِيمَة ".[٧]

وعرف ابن كمال باشا الحنفى مصطلح الهمة بأنه:"قُوَّةٌ رَاسِخَةٌ فِي النَّفْس، طَالِبَةٌ لَمَعَالِي الأُمُورِ، هَارِبَةٌ مِنْ خَسَائِسِها".[٨]

وأما مصطلح "علو الهمة" كمركب إضافى، فعرفه الجاحظ بأنه استصغار ما دون النهاية من معالى الأمور ، وطلب المراتب السامية ،

(١)معجم مقاييس اللغة ١١٢/٤

(٢)المعجم الوسيط ٦٢٥/٢

(٣)جمهرة اللغة ٩٥٠/٢

(٤)مختار الصحاح ص٣٢٨

(٥)كتاب العين ٣٥٧/٣

(٦)تاج العروس من جواهر القاموس ١٢٠/٣٤

(٧)الفروق اللغوية ١٢٧/١

(٨)تاج العروس من جواهر القاموس ١٢٠/٣٤

واستحقار ما يجود به الإنسان عند العطية ، والاستخفاف بأوساط الأمور ، وطلب الغايات والتهاون بما يملكه ، وبذل ما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان، ولا اعتداد به ".(١)

وقال السيوطى :"هو عدم المبالاة بسعادة الدُّنْيَا وشقاوتها".(٢)

ويمكن القول بأن علو الهمة هى تلك الطاقة الإيجابية الباعثة على النشاط إلى مهمات الأمور ومعاليها، وبذل منتهى الاستطاعة فى تحصيلها، والمثابرة عليها.

المطلب الثانى: الأدلة من الكتاب والسنة على علو الهمة.

تواردت كثير من نصوص الكتاب والسنة التى ترغب فى التحلى بالهمة العالية، ومباشرة معالى الأمور ، فمن الآيات المؤكدة لذلك ، قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٣)، وقوله تعالى﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾(٤)، وقوله وقوله تعالى ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٥)

هذه الآيات فى مضمونها دعوة إلى علو الهمم فى هذه الأعمال، فرغبت إلى الاستفاضة من العلوم ، والتعلق المفرط بالمساجد، والمبالغة فى طهارة الظاهر والباطن، والسبق إلى إمامة العباد فى مقام الإحسان وغيره ؛ فإن فيض الله تعالى غير متناهى.

وفى ذات التوقيت شدد القرآن الكريم التحذير من الدنو إلى الخسة فى أكثر من موضع ، قال تعالى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾(٦)،وقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) تهذيب الأخلاق ص٢٨

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ٢٠٣/١

(٣) سورة البقرة من الآية ١١٤

(٤) سورة التوبة من الآية ١٠٨

(٥) سورة الفرقان من الآية ٧٤

(٦) سورة البقرة من الآية ٦١

ﭐثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[١]، ونفى الحق ﷻ المساواة فى الدرجات بين أعلياء الهمم ومن دونهم،فقال فى أمر الجهاد ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٢] ، وقال فى شأن السابقين واللاحقين بعد اختلاف أزمنتهم من الفقر إلى الغنى ، وأحوالهم من الضعف إلى القوة﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٣]

قال محمد رشيد رضا:"لَفْظُ كُلًّا؛ لِإِفَادَةِ حَصْرِ هَذَا الْوَعْدِ الْكَرِيمِ فِي هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ الْمُتَسَاوِيَيْنِ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ، الْمُتَفَاضِلَيْنِ فِي الْعَمَلِ ؛ لِقُدْرَةِ أَحَدِهِمَا وَعَجْزِ الْآخَرِ ".[٤]

وفى السنة النبوية كثير من الأساليب التى تستنهض الهمم ، وتحفزها إلى أن تتبارى فى معالى الأمور، ومن ذلك تحفيزها إلى بسط الأكف بالكرم، فالمُعطِى أفضل من المُعطَى ، روى الشيخان عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى".[٥]

ومنه أيضا تحريك الهمم إلى استشراف علياء الجنان، روى الإمام البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

(١) سورة التوبة الآية ٣٨

(٢) سورة النساء الآية ٩٥

(٣) سورة الفتح الآية ١٠

(٤) تفسير المنار ٢٨٦/٥

(٥) أخرجه البخارى،واللفظ له، كتاب الزكاة/باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ١١٢/٢ رقم (١٤٢٧)،ومسلم، كتاب الزكاة/بَاب بَيَان أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَى هِيَ الْآخِذَة٢/٧١٧ رقم(١٠٣٤).

وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ – أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ". (١)

وفى السنة المشرفة أن طلب معالى الأمور أبهج لدى أرباب أهل الهمم العالية ، وأثمن عندهم من كنوز الدنيا، روى الشيخان عن عُمَرَ ﷺ قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ ﷺ:خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ(٢) وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ".(٣)

وقد مدح النبى ﷺ تسابق جياد الهمم عند بنى خراسان، فقال فى وجود سلمان الفارسى ﷺ فيما رواه الشيخان عن أبى هريرة ﷺ:" لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ- أَوْ رَجُلٌ- مِنْ هَؤُلاَءِ".(٤)

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة، وكلها تنشد الهمة العالية فى الأمة ، وترشدهم إلى وسائل اكتسابها ، وتمدح تطلعهم إلى معالى الأمور، وتذم توسعهم فى غيرها.

---

(١)أخرجه البخارى، كتاب الجهاد والسير/بَاب دَرَجَاتِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلاَ إِشْرَافِ نَفْس ١٦/٤رقم(٢٧٩٠).

(٢)قال ابن الجوزى:" مشرف أى مُتَطَلِّعٍ إِلَيْه".غريب الحديث ٥٣٢/١

(٣)أخرجه البخارى؛كتاب الزكاة/بَاب مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلاَ إِشْرَافِ نَفْس١٢٣/٢رقم (١٤٧٣)،ومسلم؛ كتاب الزكاة/بَاب إِبَاحَةِ الْأَخْذِ لِمَنْ أُعْطِيَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَاف ٧٢٣/٢ رقم(١٠٤٥).

(٤)أخرجه البخارى،واللفظ له، كتاب تفسير القرآن/باب قَوْلِهِ تعالى﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ [الجمعة: ٣] ١٥١/٦ رقم (٤٨٩٧)،ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/بَاب فضل فارس١٩٧٢/٤ رقم(٢٥٤٦).

المطلب الثالث: عناية السنة النبوية بعلو الهمة.

لما كان علو الهمة هو الباب الرئيسى لبلوغ الكمالات فقد عنت السنة النبوية به عناية فائقة، ولعل من أهم الأسباب التى استهدفت السنة المطهرة هذا الجانب كثيرا فى كثير من رواياتها، وجعلته ضرورة ملحة ما يلى:

١- إن تحفيز القلوب وحثها على تقوى الله ﷻ ورضوانه إنما يكون ببعث الهمة، واستثارتها فى النفوس ، وذلك أن الله ﷻ خلق الإنسان وأودع فيه الخير والشر، والذى يسوقه إلى إحداهما هو الهمة، ولما كان الله ﷻ لا يرضى للمؤمنين أن يشتغلوا بالتمنى والتلهى بالباطل فقد استنهض هممهم إلى الترفع عن الرضا بما دون المقام الذى رفعهم إليه ، فمن كانت همته تحصيل المعالى بعزم، وثبات الأقدام كان فى آفاق أعلى ، ومن كان دأبه اليأس والقنوط سقطت همته، وغلب عليه الجزع والفتور، من هنا كان حرص السنة على علو الهمة.

قال الشوكانى:" يَنْبَغِي لمن كَانَ صَادِق الرَّغْبَة، قوي الْفَهم، ثاقب النّظر، عَزِيز النَّفس ، شهد الطَّبْع، عالي الهمة، سامي الغريزة أَن لَا يرضى لنَفسِهِ بالدون، وَلَا يقنع بِمَا دون الْغَايَة، وَلَا يقْعد عَن الْجد وَالِاجْتِهَاد المبلغين لَهُ إِلَى أَعلَى مَا يُرَاد وَأَرْفَع مَا يُسْتَفَاد؛ فَإِن النُّفُوس الأبية، والهمم الْعلية لَا ترْضى بِدُونِ الْغَايَة فِي المطالب الدُّنْيَوِيَّة ".(١)

٢- إن تحفيز الهمم، واستثارتها بين أبناء الأمة يذكى روح التنافس بينهم للفوز والفَلْج(٢) بالمطلوب، وينحيهم عن الركون إلى الاسترخاء الذى يقعد عن الهمم، ويذلل الأرواح، فقد استنهض النبى ﷺ همم أصحابه ﷺ بمناقشته ﷺ إياهم عن شجرة ذات أوصاف خاصة ، روى الشيخان عن

(١)أدب الطلب ومنتهى الأدب ١٢٧/١

(٢)قال ابن منظور:" الفَلْجُ: الظَّفَرُ والفَوْزُ؛ وَقَدْ فَلَجَ الرجلُ عَلَى خَصْمِه يَفْلُجُ فَلْجاً،والفَلْجُ: أَن يَفْلُجَ الرجلُ أَصحابَه يَعْلُوهم ويَفُوتُهُمْ، وَالِاسْمُ الفُلْجُ والفَلَجُ".لسان العرب ٣٤٧/٢

عَبْد اللهِ بْنَ عُمَرﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللهِﷺ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ؟ ، قَالَ فَقَالَﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَﷺ، قَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَ هِيَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا". (١)

فى الحديث أن النبىﷺ استثار مهارات الصحابةﷺ العقلية من خلال أسلوب العصف الذهنى، طالبا منهم الجواب عن سؤاله، فتسابقوا فى ذلك من خلال قدراتهم الفكرية والعقلية، وتجارب حياتهم؛ لكن جانبهم الصواب، فأخبرهم النبىﷺ أنها النخلة، وفى القوم فتى يتقد ذكاء، قد وافقت إجابة النبىﷺ ما فى خلده إلا أن الحياء غلب استنطاقه إياها ؛ لوجود من يكبره".(٢)

٣- إن سلعة الله تعالى غالية ، والسعى إليها يحتاج إلى كد ، وفى سبيلها يجب تحصيل أشرف الكمالات، وبيع النفس والنفيس ، ولا يكون ذلك إلا بالهمم العالية التى تشامخ ناطحات السحاب ، فهذا عبد الله بن ثابت الأنصارىﷺ كان يملك همة عالية لنيل الشهادة فى سبيل الله فتجهز لذلك؛ لكن أقعده المرض عن غايته، فبكت ابنته لغلبة المرض علي همته قائلة:" إنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَهِيدًا؛ فَإِنَّك قَدْ كُنْتَ قَضَيْتَ جِهَازَك،فقالﷺ:"إنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِه".(٣)

(١)أخرجه البخارى، كتاب العلم/باب طرح المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ٢٢/١ رقم(٦٢) ، ومسلم ، واللفظ له، كتاب صفة القيامة والجنة والنار/باب مثل المؤمن مثل النخلة ٢١٦٤/٤ رقم(٢٨١١).

(٢)ينظر بتصرف يسير جدا التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف ص٢٠ ، ٢١

(٣)أخرجه أبوداود،كتاب الجنائز/باب فضل فى من مات فى الطاعون ١٨٨/٣ ، ١٨٩ رقم(٣١١١)، وابن حبان فى صحيحه، كتاب الجنائز/باب فى الشهيد/فصل فى ذِكْر =

قال الطاهر بن عاشور:" مُعْظَمُ الْكَمَالَاتِ صَعْبَةٌ عَلَى النَّفْسِ؛ لِأَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى تَهْذِيبِ النَّفْس، وَالِارْتِقَاءِ بِهَا عَنْ حَضِيضِ الْحَيَوَانِيَّةِ إِلَى أَوْجِ الْمَلَكِيَّةِ، فَفِي جَمِيعِهَا أَوْ مُعْظَمِهَا صَرْفٌ لِلنَّفْسِ عَمَّا لَاصَقَهَا مِنَ الرَّغَائِبِ الْجُسْمَانِيَّةِ الرَّاجِعِ أَكْثَرُهَا إِلَى طَبْعِ الْحَيَوَانِيَّة؛لِأَنَّهَا إِمَّا مَدْعُوَّةٌ لِدَاعِي الشَّهْوَةِ، أَوْ دَاعِي الْغَضَبِ، فَالِاسْتِرْسَالُ فِي اتِّبَاعِهَا وُقُوعٌ فِي الرَّذَائِلِ فِي الْغَالِب ". [١]

٤- إن علو الهمة ضرورة ملحة للمؤمن، يتفوق بها على أقرانه فى سلوك الطريق المستقيمة، ويسابقهم فى الأجر والمثوبة، روى الإمام البخارى عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البدرى، قَالَ:"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَأْمُرُ بِالصَّدَقَةِ فَيَحْتَالُ[٢] أَحَدُنَا حَتَّى يَجِيءَ بِالْمُدِّ[٣]، وَإِنَّ لِأَحَدِهِمُ اليَوْمَ مِائَةَ أَلْفٍ. كَأَنَّهُ يُعَرِّضُ بِنَفْسِه[٤]".[٥]

=

الْخِصَال الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ الشَّهَادَةِ لِغَيْرِ الْقَتِيلِ فِي سَبِيلِ اللَّه ٤٦٣/٧ رقم(٣١٩٠)،والحاكم فى المستدرك على الصحيحين ،كتاب الجنائز ٥٠٣/١ رقم(١٣٠٠) وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(١)التحرير والتنوير ٢٤٤/٢٣

(٢)قال ابن الأثير:"الحول:الحركة ،يقال حال الشخص يحول إذا تحرك".النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤٦٢/١

(٣)المد:كيل، ومقداره ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما،وهو عند الحنفية رطلان بالعراقى أى ما يعادل ٨١٢,٥ جراما،وعند الجمهور رطل وثلث بالعراقى أى ما يعادل ٥١٠جراما.المكاييل والموازين الشرعية ص٣٦

(٤) قوله :"كأنه يعرض بنفسه" هذا من إدراج أبى وائل شقيق بن سلمة الأسدى ،الراوى عن أبى مسعود.

(٥) أخرجه البخارى ، كتاب تفسير القرآن/باب قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٧٩] ٦٧/٦ رقم(٤٦٦٩).

٥- إن تفاضل الناس وتفاوت مراتبهم راجع إلى تفاضلهم فى الهمم، من هنا كانت الحاجة إلى عناء الهمة، قال تعالى ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾(١).

وقد فقه الصحابة الكرام رضي الله عنهم مقصد هذه الآية، فانطلق أحدهم يجمع الحسنات العظام بكثرة الخطوات إلى المسجد، مفضلا همة المشى على رفاهية الركوب، روى مسلم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ:" كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَوْ قُلْتُ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ(٢)، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ". (٣)

٦- إن الشعور بتحقيق الهمة العالية يحدث إحساسا بحلاوة الإيمان ، يستلذ به المؤمن فى السراء والضراء ، ويستأنس به فى طريقه، فلا يستوحش عمله لقلة السالكين، أو كثرة الناكبين .

قال الأستاذ محمد أحمد راشد:" إذا انسد باب شعور المؤمن بالغربة فهو يشعر بأن الناس جميعا وهم فى ضلالهم هم الغرباء التائهون".(٤)

---

(١)سورة الإسراء الآية ٢١

(٢)قال ابن الأثير:"الرمضاء:شدة الحر".النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٢٦٣

(٣)أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/٤٦٠ رقم(٦٦٣).

(٤) المنطلق ص٢٣٦

المبحث الثانى

منهج السنة النبوية فى تعزيز أساليب تحقيق علو الهمة ، وتحته مطالب:

المطلب الأول

ضرورة اقتران علو الهمة بالقصد والتجرد لله تعالى

إن الهمم التى تسابق إلى الأعمال الصالحات ينبغى أن يكون ركن غايتها التجرد الخالص لله ﷻ(١)، ولا شك أن هذا التجرد يحتاج إلى جهاد شاق لا تتعلق فيه النفوس إلا بحبل الله ، ولتحقيق التجرد لله ﷻ لا بد من أمور قلبية ثلاثة:

أولا: صدق النية:

إن مفتاح أبواب الأعمال النية الصادقة، المرتكزة على مشاعر التوجه الخالص لله تعالى، والتجرد عن علائق الدنيا ، والإقبال على الآخرة ،قال تعالى﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢) ، وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ".(٣)

دلت الإشارة منه ﷺ إلى صدره الشريف ﷺ على أن الباطن لا بد أن يسبق الظاهر ، وأن صدق النوايا مقدم على عمل الجوارح، قال الكلاباذى:"الْفَضْلَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ الْأَبْدَانِ وَلَا بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ أَقْوَى بَدَنًا مَعَ قُوَّتِهِ فِي أَمْرِ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ عَمَلًا، فَدَلَّ ذَلِكَ

---

(١)التجريد:"خلو قلب العبد وسره عما سوى الله ، يتجرد ظاهره عن الأعراض ، وبباطنه عن الأعواض ، وهو ألا يأخذ من عرض الدنيا شيئا ، ولا يطلب عما ترك منها عوضا من عاجل ولا آجل ؛ بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلة غيره ، ولا لسبب سواه". معجم مصطلحات الصوفية ص٤١

(٢)سورة الأنعام الآية ١٦٢

(٣)أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ، وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ ١٩٨٦/٤ رقم(٢٥٦٤).

عَلَى أَنَّ كَثْرَةَ الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ الْفَضْلَ، وَإِنَّمَا يُوجِبُ الْفَضْلَ مِنْحَةُ الْعَمَلِ وَمَعْنًى فِي السِّرِّ ".(١)

وفى السنة النبوية تنبيه عظيم لذوى الهمم أن الأمور بمقاصدها ، وأن النتائج ثمرة لمقدماتها، روى البخارى عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ".(٢)

وقد أكدت السنة النبوية على أهمية صدق النية، وبينت أن الإخلاص هو روح العمل، ومن ذلك:

١- ما رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".(٣)

٢- ما رواه الشيخان عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"وَلَسْتَ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا،حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ".(٤)

(١)بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ٢٧٩/١

(٢)أخرجه البخارى، كتاب بدء الوحى/باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ ٦/١ رقم(١).

(٣)أخرجه البخارى، كتاب الصوم/ باب من صام رمضان إيمانا، واحتسابا، ونية ٢٦/٣ رقم(١٩٠١) ،ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها /باب الترغيب فى قيام رمضان، وهو التراويح ٥٢٣/١ رقم(٧٦٠)

(٤)أخرجه البخارى، كتاب الجنائز/ باب رثاء النبى ﷺ سعد ابن خولة ﷺ ٨١/٢ رقم(١٢٩٥) ،ومسلم، كتاب الوصية /باب الوصية بالثلث ١٢٥٠/٣ ، ١٢٥١ رقم(١٦٢٨)

٣- ما رواه البخارى عن البَرَاءِ﷛ قال:"أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ(١) بِالحَدِيدِ،فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟، قَالَ ﷺ:أَسْلِمْ،ثُمَّ قَاتِلْ،فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ،فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا".(٢)

فمجموع هذه الأحاديث المتنوعة فى طلب بعض معالى الأمور تشير إلى أن النية الصادقة المبرأة عن الرياء، أو السمعة، أو الهوى أصل فى صحة هذه الأعمال وقبولها وإن كان العمل يسيرا.

قال ابن بطال:"الأعمال الصالحة لا تزكو ولا تتقبل إلا مع الاحتساب، وصدق النيات".(٣)

وقد قبل النبى ﷺ جهاد عمرو بن ثابت بن أُقيش الأنصارى﷛ (٤) مع أنه لم يصل صلاة واحدة؛ لصدق نيته ، روى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﷛" أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ﷛، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟، قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟، قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ(٥) ،وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ﷛، فَقَالَ

---

(١)قال ابن الأثير:"المقنع: الْمُتَغَطِّي بِالسِّلَاحِ، وَقِيلَ:الَّذِي عَلَى رَأْسِهِ بَيْضة، وَهِيَ الخَوذة؛ لأَنَّ الرَّأْسَ مَوْضِعُ القِناع ". النهاية فى غريب الحديث والأثر ١١٤/٤

(٢)أخرجه البخارى، كتاب الجهاد والسير/ باب عمل صالح قبل القتال ٢٠/٤ رقم(٢٨٠٨)

(٣)شرح صحيح البخارى ٢١/٤

(٤)عمرو بن ثابت بن وقيش، ويقال: أقيش بن زغبة بن زعوراء الأنصاري،وينسب إلى جده فيقال عمرو بن أقيش،وأمه بنت اليمان أخت حذيفة، ويلقب بأصيرم،واستشهد بأحد.الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٠٠/٤

(٥)قال الزمخشرى:" اللأمة:الدرْع ،سميت بذلك لالتئامها،واستلأم الرجل: لبسهَا".الفائق فى غريب الحديث ٢٩٣/٣

لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا لِلَّهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً ".(١)

قلت: دلت الرواية بأن النوايا إن صدقت حل الذكر محل الغفلة، والأعمال محل الشهوات، قال المحاسبى:" أحق النَّاس بِصدق النِّيَّة أشدهم لَهَا حبا ... وأول عَلَامَات صدق الرجل عنايته بِمَعْرِفَة صدق النِّيَّة،وإخلاص الْعَمَل".(٢)

وكل عمل كانت فيه شائبة من رياء، أو كبر، أو شهرة فهو مردود ، روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " قَالَ اللهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ".(٣)

قال الغزالى:"فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء، وقد قال الله ﷻ في كل عمل كان بإرادة غير الله ﷻ مشوباً، مغموراً ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(٤) ".(٥)

ومصداقا لهذا سئل النبى ﷺ عن أصناف ثلاثة استوى عملهم واختلف قصدهم، أولهم طامع فى الغنائم ، وثانيهم راغب فى الشهرة والنياشين ، وآخرهم قاصد إعلاء كلمة الله ﷻ ، فأجاب ﷺ بقبول عمل الأخير ؛ لأنه ابتغى به وجه الله ﷻ من غير شوب، روى الشيخان عن أَبى مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ،

(١)أخرجه أبوداود، كتاب الجهاد/بَابٌ فِيمَنْ يُسْلِمُ وَيُقْتَلُ مَكَانَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ ٢٠/٣ رقم(٢٥٣٧)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر فى الإصابة(٥٠١/٤).

(٢)آداب النفوس ص١٢٢

(٣)أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق /باب من أشرك فى عمله غير الله ﷻ ٢٢٨٩/٤ رقم(٢٩٨٥)

(٤)سورة الفرقان من الآية ٢٣

(٥)إحياء علوم الدين ٣٦٢/٤

أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:" يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ ﷻ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ".(١)

قال القرطبى:" المخلِصُ في عباداته هو الذي يُخلصها من شوائب الشركِ والرياء، وذلك لا يتأتى له إلا بأن يكون الباعثُ له على عملها قصدَ التقرب إلى الله تعالى، فأما إذا كان الباعثُ عليها غير ذلك من أعراض الدُّنيا؛ فلا يكونُ عبادة؛ بل يكون مصيبة موبقة لصاحبها، فإما كفرٌ ، وهو الشرك الأكبر، وإما رياء ، وهو الشركُ الأصغر، ومصيرُ صاحبه إلى النار ".(٢)

والنية إن صدقت يستصغر صاحبها إلى جوارها كل لذة أو رغبة من أشواق وأوهاق(٣) الحاجات؛ لتركن إلى أعظم لذة، وهى الأنس بالله ﷻ ، روى مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ:" خَرَجَ مُعَاوِيَةُ ﷺ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ ﷺ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ ، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ تعالى، قَالَ ﷺ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ ، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ ﷺ: أَمَا إِنِّي لَمْ

---

(١)أخرجه البخارى، كتاب الجهاد والسير/باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٢٠/٤ رقم(٢٨١٠)،ومسلم، كتاب الإمارة/باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ١٥١٢/٣ رقم(١٩٠٤).

قال الصنعانى:"يَبْقَى الْكَلَامُ فِيمَا إذَا انْضَمَّ إلَيْهَا قَصْدُ غَيْرِهَا وَهُوَ الْمَغْنَمُ مَثَلًا هَلْ هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ لَا؟، قَالَ الطَّبَرِيُّ: إنَّهُ إذَا كَانَ أَصْلُ الْمَقْصِدِ إعْلَاءَ كَلِمَةِ اللَّهِ لَمْ يَضُرَّ مَا حَصَلَ مِنْ غَيْرِهِ ضِمْنًا، وَبِذَلِكَ قَالَ الْجُمْهُورُ، وَالْحَدِيثُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ قَصْدِ التَّشْرِيكِ؛ لِأَنَّهُ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَيَتَأَيَّدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]".سبل السلام ٤٦٣/٢

(٢)المفهم لما أشكل من كتاب تخيص مسلم ٧٤٣/٣

(٣)قال الزبيدى:"قال الليث:هو الحبل المُغار ،يُرْمى فِي أُنشوطَة،فتؤْخَذُ بِهِ الدابّة والإنسانُ".تاج العروس ٤٨٥/٢٦

قلت:هذه اللفظة كناية عن التعلق والارتباط بالشىء ، كما توصد الدابة بالحبل المعقود فيها.

أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَﷺ:مَا أَجْلَسَكُمْ؟، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَﷺ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَﷺ:أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَﷻ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ". (١)

فى الحديث أنهم استحقوا المباهاة من ربهمﷻ؛ لأنهم وجدوا لها مشقة؛ فضلا عن تسليط الهوى والنفس والشيطان، بخلاف الملائكة. (٢)

ثانيا: مراقبة الله تعالى

إن الساعى إلى معالى الأمور عليه أن يستصحب جانب المراقبة لله تعالى، يصرف همته إلى الرقيبﷻ فيتولد عنده الحياء والتحرج من اللهﷻ فى الخلوة(٣) والجلوة(٤)، يخاف أن يراه فى موطن يكرهه، أو أن يطلع على خاطر سرى إليه دبيب الهوى والأمانى، إنه يستشعر فى جوانحه جلال الله وعظمته(٥)،ويستحضر الدنو والقرب من مولاه (٦)،ويأنس بالوجل والشوق فى

---

(١)أخرجه مسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار/بَاب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر ٤/٢٠٧٥ رقم(٢٧٠١).

(٢)ينظر بتصرف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/٤١٢

(٣)الخلوة:"ترك اختلاط الناس وإن كان بينهم، وقيل هى الأنس بالذكر ، والاشتغال بالفكر ، وقيل هى الخلوة عن جميع الأذكار إلا عن ذكر الله تعالى". معجم مصطلحات الصوفية ص٩٢

(٤)الجلوة:"خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية ؛ إذ عين العبد وأعضاؤه ممحوة عن الأنانية ، والأعضاء مضافة إلى الحق بلا عبد كقوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧].المصدر السابق ص٦٣

(٥)ومن ذلك ما أخرجه مسلم، كتاب الصلاة/باب ما يقال فى الركوع والسجود١/٣٥٠ رقم(٤٨٢)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ".

(٦)ومن ذلك ما يستحضره الذاكر من ذكر الله فى ملكوته لمن ذكره، أخرج البخارى،واللفظ =

المناجاة إليه (١)، يرجو ثمار الأجر والفضل من ربه.

قال محمد بـن نصر: " إِذَا ثَبَـتَ تَعْظِيمُ اللَّـهِﷻ فِي قَـلْبِ الْعَبْدِ أَوْرَثَـهُ الْحَيَـاءَ مِنَ اللَّـهِﷻ وَالْهَيْبَـةِ لَـهُ ، فَغَلَبَ عَلَـى قَلْبِـهِ ذِكْرُ اطِّـلَاعِ اللَّـهِ الْعَظِيمِ، وَنَظَرِهِ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ إِلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَذِكْرُ الْمَقَامِ غَدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسُؤَالِهِ إِيَّاهُ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَذِكْرُ دَوَامِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَقِلَّةِ الشُّكْرِ مِنْهُ لِرَبِّه".(٢)

وكان النبىﷺ مشغولا بمقام المراقبة عن كل أعراض الدنيا، يستحضر جلال ربه وهيبته، سرا وعلانية ، ظاهرا وباطنا ، فى الحركات والسكنات ، لا يلتفت إلى سواه كأنما يعاين ربه تعالى(٣)، وإدراكا منهﷺ إلى عظم هذه

=

له، كتاب التوحيد/ بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] ،وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] ١٢١/٩ رقم(٧٤٠٥)،ومسلم، كتاب الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَـةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ/ بَاب الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى ٢٠٦١/٤ رقم(٢٦٧٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﷛ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّﷺ:"يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا،وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً".

(١)ومن ذلك ما علمه النبىﷺ للرجل من كيفية المناجاة لله ليستخرج معانى الأنس والشوق إلى محبوبه الأعظم كما أخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ، كتاب الطهارة ٣٦١/١ رقـم(٨٦١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷛قَالَ: "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَى رَجُلًا كَانَ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَقَالَ:يَا فُلَانُ، أَلَا تَتَّقِي اللَّـهَ؟ أَلَا تَنْظُرُ كَيْفَ تُصَلِّي؟ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ، إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي لَا أَرَاكُمْ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ" ، وقال:"حدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ عَلَى هَذِهِ السِّيَاقَةِ" ، ووافقه الذهبي فى التلخيص.

(٢)تعظيم قدر الصلاة ٨٢٦/٢

(٣)يؤيد هذا ما أخرجه البخارى، كتاب الإيمان/بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَة ١٩/١ رقم(٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان/باب الإيمان ما هو وبيان خصاله ٣٩/١ رقم (٩) بسنديهما عن أبى هريرة﷛ قَالَ:" كَانَ النَّبِيُّﷺ

=

الحالة كانﷺ يوقظ المشاعر إلى هذا المقام، وخاصة فى جانب التربية ، يظهر ذلك فى توجيهه لابن عباسﷺ وهو صغير:"يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ...الحديث". (١)

قال ابن دقيق العيد:" اعمل له بالطاعة، ولا يراك في مخالفته؛ فإنك تجده تجاهك".(٢)

والمراقبة كلما اشتدت عظم معها جوانب المحبة ، والرجاء، والخوف، وقد قص النَّبِيِّﷺ حال رَجُل مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عظم عنده مقام الهيبة للهﷻ فجَدَّ فى سداد دينه عند أجله المحدد، روى البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ عَنِ النَّبِيِّﷺ: "أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَخَرَجَ فِي البَحْرِ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً، فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا".(٣)

ثالثا:الاستعانة بالله تعالى:

لا ريب أن القصد فى الأعمال قرينه الاستعانة باللهﷻ ، والتوكل عليهﷻ وحده ، ولما كان العجز والضعف سمة العباد ، والمرتقى إلى بلوغ أسمى الكمالات صعب ، وسهام القواطع تحيط بصاحب الهمة من كل حدب وصوب؛ فإن ذا الهمة أحوج إلى عون الله وتوفيقه، قال تعالى﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٤) ، إذا استقرت هذه الحقيقة فى

=

بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ – وفيه–قال: مَا الإِحْسَانُ؟، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ".

(١)أخرجه الترمذى بسنده عن ابن عباسﷺ مرفوعا،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٦٦٧/٤رقم(٢٥١٦)، وقال: "حديث حسن صحيح".

(٢)شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ص٧٦

(٣)أخرجه البخارى، كتاب الزكاة/بَاب ما يستخرج من البحر ١٢٩/٢ رقم(١٤٩٨).

(٤)سورة الزمر من الآية ٣٨

شعور صاحب الهمة أدرك أن الطمأنينة فى جانب التوكل علي اللهﷻ وحده، وأن اليقين لا يكون إلا فى جنابهﷻ ، من هنا كانت وصية النبىﷺ لمعاذ؄: قَالَ:" أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ؄ الصُّنَابِحِيّ(١)، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ(٢).(٣)

قال ابن القيم بعد أن أورد أقسام الناس فى الاستعانة:" أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم، وطلبهم منه أن يعينهم عليها، ويوفقهم للقيام بها، ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته ".(٤)

ومن بلاغة السنة النبوية أنها جمعت بين الحرص وطلب العون؛ لأن التجرد لله ﷻ لا يتحقق إلا بهما معا، والاكتفاء بأحدهما دون غيره عجز، روى الإمام مسلم عن أبى هريرة؄ مرفوعا:" احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ "(٥)

قال الصنعانى:" أَمَرَهُﷺ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاَللَّهِ وَحْدَهُ فِي كُلِّ أُمُورِهِ، وَفِي إفْرَادِهِ تَعَالَى بِالِاسْتِعَانَةِ فَائِدَتَانِ، فَالْأُولَى: أَنَّ الْعَبْدَ عَاجِزٌ عَنْ الِاسْتِقْلَالِ

---

(١)الصنابحى: مختلف فى اسمه وكنيته، ورجح الحافظ ابن حجر أن اسمه عبد الرحمن بن عُسيلة المرادى أبو عبد الله، ووثقه ابن سعد والعجلى ،وذكره البخارى فى من مات ما بين السبعين والثمانين.ينظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢٢٩/٦ ، ٢٣٠ ، والتاريخ الأوسط ١٦٥/١

(٢)عَبد اللَّهِ بن يَزِيدَ الْمَعَافِرِيّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبُلِيّ المِصْرِي، وقد وثقه ابن سعد، وابن معين، والعجلى، ومات سنة مائة. ومن أراد المزيد فلينظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٨١/٦ ، ٨٢

(٣)أخرجه أبوداود ،كتاب الصلاة/باب فى الاستغفار ٨٦/٢ رقم(١٥٢٢)، والحاكم فى المستدرك على الصحيحين ٤٠٧/١ رقم(١٠١٠)،وقال:"صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"،ووافقه الذهبى فى التلخيص،وصححه النووى فى (خلاصة الأحكام ٤٦٨/١).

(٤)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١٠٠/١

(٥)أخرجه مسلم، كتاب القدر/ بَاب فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ، وَتَرْكِ الْعَجْزِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِﷻ ٢٠٥٢/٤ رقم(٢٦٦٤).

بِنَفْسِهِ فِي الطَّاعَاتِ، وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ لَا مُعِينَ لَهُ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إِلَّا اللَّهُﷻ ، فَمَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُعَانُ،وَمَنْ خَذَلَهُ فَهُوَ الْمَخْذُول ".(١)

وثمرة الاستعانة باللهﷻ السداد والتوفيق الذى هو بيدهﷻ فحسب، روى الترمذى عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ:"كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِﷺ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ، قَالَﷺ: " لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ... الحديث".(٢)

قال ابن رجب:" التوفيق كله بيد اللهﷻ ، فمن يسر اللهﷻ عليه الهدى اهتدى، ومن لم ييسره عليه لم ييسر له ذلك ".(٣)

نخلص من هذا أن التربية التى أخذتها السنة النبوية على عاتقها فى إعدادها لمريد علو الهمة، والطامح إلى العلياء، تبدأ تدريجيا بتجريد النفوس من كل شائبة ، وحفظ القلوب عن كل شاغل، وهذا الإعداد ضرورى لتستقبل الهمم نفحات اللهﷻ ورضوانه ، وتحقق ثمرتها ، وتصون أعمالها من الرياء والحبْط.

---

(١)سبل السلام ٦٤٨/٢

(٢)أخرجه الترمذى، كتاب الإيمان/باب ما جاء فى حرمة الصلاة ١١/٥ ، ١٢رقم (٢٦١٦)،وقال:"حديث حسن صحيح".

(٣)جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ١٣٧/٢

المطلب الثانى

ضرورة اقتران علو الهمة بتحديد الهدف

صاحب الهمة يتطلع إلى هدف نبيل، وغاية سامية يهفو لها قلبه ، وتكمل تلك الغاية فى كونها بعيدة كل العبد عن الترف الدنيوى ، فمطمحه أعلى من تلك الدنيا ، وآفاقه أسمى من الأعراض الزائلة ، روى ابن ماجه فى سننه عن زَيْد بْن ثَابِتٍﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: "مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ". [(١)]

وكل منا فى حسه هدف إلا أن منهم من يغشيه بالغَبَش الذى لا يدرى معه إلى أين يسير ، ومنهم من يمد بصره إلى آفاق بعيدة خلف هذا الواقع المحدود الزهيد ؛ ليس لأن له نظرة سلبية إلى دنياه ؛ ولكن لأنه ينشد ما هو أثمن وأعز منها.

قال ابن القيم:" ولله الهمم! ما أعجب شأنها، وأشد تفاوتها، فهمة متعلقة بمن فوق العرش، وهمة حائمة حول الأنتان والحَش[(٢)]، والعامة تقول قيمة كل امرئ ما يحسنه، والخاصة تقول قيمة المرء ما يطلبه، وخاصة الخاصة تقول همة المرء إلى مطلوبه ".[(٣)]

وكان النبى ﷺ يربى أصحابهﷺ على ارتقاء مستوى أهدافهم، والتماس أقصى الغايات وأعزها وهو استرواحهم ريح الجنة ونعيمها ، روى الشيخان عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍﷺ قَالَ:" أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ

---

(١)أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد/باب الهم بالدنيا ١٣٧٥/٢ رقم(٤١٠٥)،وقال العراقى فى تخريج الإحياء (١٥٧٤/١)":" أخرجه ابْن مَاجَه من حَدِيث زيد بن ثَابتﷺ بِسَنَد جيد".

(٢)قال الرازى:"الحش: بفتح الحاء،وضمها البستان،وهو أيضا المخرج ؛لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين".مختار الصحاح ص٧٣

(٣)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١٤٠/٣

أَصْحَابُهُ يَلْمِسُونَهَا ، وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ ﷺ:أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا، وَأَلْيَنُ". (١)

قلت: دل الحديث الشريف أن صاحب الهمة عليه ألا يعتاض عن أسباب الآخرة بشىء من أمور الدنيا.

قال القارى:" أرفع شيء من هذه– الدنيا– لا يقاوم أوضع شيء من تلك– الآخرة–...قال الخطابي: إنما ضرب المثل بالمناديل؛ لأنها ليست من عِلية الثياب، بل هي تبذل من أنواع المرافق، فيمسح بها الأيدي، وينفض بها الغبار عن البدن، وتغطى ما يهدى في الأطباق، وتتخذ لفافا للثياب، فصار سبيلها سبيل الخادم، وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم، فإذا كان أدناها هكذا، فما ظنك بأعلاها؟ ".(٢)

هذا عمرو بن تغلب النَّمَرى ﷺ يعتز بغايته التى شهد له بها خاتم المرسلين ﷺ ، روى البخارى عن عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ ﷺ قَالَ:"أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَالٌ، فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ ﷺ:إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ،وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ ﷺ،فَقَالَ عَمْرٌو ﷺ:مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَم".(٣)

---

(١)أخرجه البخارى، كتاب الأيمان والنذور/باب كيف كانت يمين النبى ﷺ ١٣١/٨رقم(٦٦٤٠)،ومسلم، واللفظ له ، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/باب من فضائل سعد بن معاذ ﷺ ١٩١٦/٤ رقم(٢٤٦٨).

(٢)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤٠٠٢/٩

(٣)أخرجه البخارى، كتاب التوحيد/باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج١٩: ٢١] ١٥٦/٩ رقم(٧٥٣٥).

وعلل الحافظ ابن حجر العسقلانى مقولة عمروﷺ بأنها إيماء إلى قوة إيمانه المفضي به لدخول الجنة. (١)

وفى السنة العطرة نرى أنه قد شابت المطامع إلى أهداف رفيعة، وغايات نبيلة، المتأمل فيها يرى أنها كانت بحق كفئا للهدف الذى ابتغته، فعبروا عن غاياتهم تلك وهم على مشارف الموت ، وهذه بعضها:

منهم من صرح بأن غايته الجنة فسعى لها بظلال السيوف، وحمى الوطيس، روى الشيخان عَنْ أَنَسٍﷺ قَالَ:"عَمِّيَ الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ بَدْرًا، قَالَ: فَشَقَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺغُيِّبْتُ عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ لَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ، قَالَ:فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا، قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍﷺ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌﷺ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟، فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ:فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ:فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ، قَالَ: " فَقَالَتْ أُخْتُهُ-الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ- فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٢) ، قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِﷺ". (٣)

قلت: رضى الله عن أنس بن النضر ما كان زائغا عن هدفه ، غُيِّب يوم بدر وما غابت عنه غايته حتى نالها يوم أحد، قال ابن حجر:" قوله واها قاله إما تعجبا، وإما تشوقا إليها ، فكأنه لما ارتاح لها، واشتاق إليها صارت له قوة من استنشقها حقيقة".(٤)

---

(١)فتح البارى ٥١١/١٣

(٢)سورة الأحزاب من الآية ٢٣

(٣)أخرجه البخارى، كتاب المغازى/باب غزوة أحد ٩٥/٥ رقم(٤٠٤٨)، ومسلم فى صحيحه،واللفظ له، كتاب الإمارة/باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥١٢/٣ رقم(١٩٠٣).

(٤)فتح البارى ٢٣/٦

ومنهم من اتخذ من معالى الأخلاق هدفا للجنان كهذه المرأة التى أصابها من عضال الداء ما جعلها تطلب دعوة بالشفاء من أكرم الخلقﷺ فيخيرها بين الشفاء وبين دخول الجنة بالصبر ، فتتلهف للجنة بالتجلد ، روى الشيخان عن عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: "أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَﷺ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا".[1]

وهذا الذى بسط أكفه فجاد بكل بستانه طمعا بواحدة من نخيل الجنة، روى ابن حبان عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ:" أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَمُرْهُ يُعْطِينِي أُقِيمُ بِهَا حَائِطِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: "أَعْطِهِ إِيَّاهَا بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ"، فَأَبَى، فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ رضي الله عنه، فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي ، فَفَعَلَ ، فَأَتَى أَبأأأُو الدَّحْدَاحِ رضي الله عنه النَّبِيَّﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، وَقَدْ أَعْطَيْتُكَما، فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: " كَمْ مِنْ عِذْقٍ[2] دَوَّاحٍ[3] لِأَبِي الدَّحْدَاحِ رضي الله عنه فِي الْجَنَّةِ –قَالَهَا– مِرَارًا ، فأتى أَبُو الدَّحْدَاحِ رضي الله عنه امْرَأَتَهُ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ؛ فَقَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فقالت: رَبِحَ السِّعْر".[4]

---

(١)أخرجه البخارى،واللفظ له، كتاب المرضى/باب فضل من يصرع من الريح ١١٦/٧ رقم(٥٦٥٢)، ومسلم، كتاب البر، والصلة، والآداب/باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها ١٩٩٤/٤ رقم(٢٥٧٦).

(٢)العذق:" بفتح العين النخلة". غريب الحديث للخطابى ٣٥٥/٢

(٣)دواح:"العَظِيم الشديد السمو،وكل شجرة عظيمة دوحة". غريب الحديث لابن الجوزى ٣٥١/١

(٤)أخرجه ابن حبان فى صحيحه، كتاب مناقب الصحابة رضي الله عنهم/باب ذكر السبب الذى من أجله قالﷺ هذا القول ١١٣/١٦ ، ١١٤ رقم(٧١٥٩) ، وصححه الضياء المقدسى فى (الأحاديث المختارة ٥٨/٥).

ومنهم من جعل أقصى غاياته مرافقة النبىﷺ فى دار الخلد، روى مسلم عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ:" كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ".(١)

إن ربيعة الأسلمى فى لحظة ترتسم أمامه الأهداف ، فيقف على هدفين أولهما: متاع الأرض، وثانيهما: مرافقة النبى الأعز الأكرمﷺ فيصوب إلى هدف طويل الأمد ، وهو الاستئناس بمرافقتهﷺ فى دار الخلود. قال المناوى: "مرافقة المصطفىﷺ في الجنة من الدرجات العالية التي لا مطمع في الوصول إليها إلا بحضور الزلفى عند الله في الدنيا بكثرة السجود... وذلك أن محبة العبد منوطة بمتابعته، ومحبة الله العبد متوقفة على متابعة رسولهﷺ".(٢)

من هذه الأحاديث يتبين أن أصحاب الهمم لابد لهم أن يبصروا غاياتهم، وأن يعملوا بكل طاقاتهم على بلوغها؛ ليحققوا العزة والسيادة فى الدنيا ، وفى الآخرة الجنة والرضوان.

---

(١)أخرجه مسلم، كتاب الصلاة/باب فضل السجود والحث عليه ٣٥٣/١ رقم(٤٨٩).
(٢)فيض القدير ٣٣٤/٤

المطلب الثالث

ضرورة اقتران علو الهمة بالعزيمة

إن ركيزة إنجاز التكليف ، والإتيان به على أكمل وجه دون ميل، أو تردد، أو وهن هو العزائم الجادة، والإرادة الصادقة، لا سيما وأن الطريق إليه تعالى محفوف بالمكاره ، قال تعالى ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1] ، وروى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ".[2]

قال ابن القيم:"الدين مداره على أصلين العزم والثبات ،وأصل الشكر صحة العزيمة، وأصل الصبر قوة الثبات، فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات فقد أيد بالمعونة والتوفيق ". [3]

وقد أرشد اللهﷻ أرباب الهمم العالية وهم على أبواب المشقات إلى الصبر، قال تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[4] ،وكان من وصايا لقمان لابنه أن يحوز العزم الثابت والإرادة الصلبة ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[5]

قال ابن قدامة:"وأشد حاجة الرائض[6] لنفسه قوة العزم، فمتى كان مترددا بعد فلاحه ، ومتى أحس من نفسه ضعف العزم تصبر".[7]

---

(١)سورة آل عمران الآية ١٨٦

(٢)أخرجه مسلم كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها ٢١٧٤/٤ رقم(٢٨٢٢).

(٣)عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص١١٠

(٤)سورة البقرة الآية ٤٥

(٥)سورة لقمان الآية ١٧

(٦)قال الزبيدى:" رَاضَ المُهْرَ يَرُوضُهُ رِيَاضاً،ورِيَاضَةً: ذَلَّلَهُ ووَطَّأَهُ، وقيلَ: عَلَّمَهُ السَّيْرَ، فَهُوَ رَائِضٌ ".تاج العروس من جواهر القاموس ٣٧٠/١٨

(٧)مختصر منهاج القاصدين ص١٥٤

وفى السنة النبوية أن النبىﷺ كان يتضرع إلى ربهﷻ أن يرزقه عزما ينهض فيه بالتكاليف ، ويعاهده بعهد حازم أن يكون فى مقام الإحسان ، يعلمﷺ هذه المناجاة لأصحابه، روى الإمام مسلم عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِﷺ:"قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ"(١)، وكانﷺ يستعيذ بربه من الفتور بعد النشاط ، والنكوص عن الاستقامة بعد لزومها، روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ المزنى قَالَ:"كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ(٢)، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ". (٣)

إنه التعلق الدائم باللهﷻ مخافة أن ينزلق إلى الغفلة أو الحرام. قال ابن حجر:" خص نفسهﷺ بالذكر ؛ إعلاما بأن نفسه الزكية إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك".(٤)

وهذه أهم الأسباب التى تعين صاحب الهمة على تحقيق العزيمة، والثبات فيها:

١-مقاومة الإغراءات، واجتثاث الشهوات التى تجنح بذوى العزائم إلى الملال أو الانحلال.

بينت السنة النبوية أن من سمات شخصية الرسولﷺ جنوحها لترك فضول الأشياء التي تذكر الدنيا، وترغب فيها؛ فإنها مما تفت العزائم، ومن هذا أنهﷺ كان يحث بعض أزواجه -رضى الله عنهن- على نزع تصاوير

(١)أخرجه مسلم، كتاب الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ/بَاب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَل ٢٠٩٠/٤ رقم(٢٧٢٥).

(٢)قال الخطابى:" الحور بعد الكور :النقص بعد الكمال ".غريب الحديث ١٩٤/٢

(٣)أخرجه مسلم، كتاب الحج/بَاب مَا يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٩٧٩/٢ رقم(١٣٤٣).

(٤)فتح البارى ٣٧٧/١٣

كانت معلقة فى بابهن ، روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ -رضى الله عنها-، قَالَتْ:" كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تِمْثَالُ طَائِرٍ ،وَكَانَ الدَّاخِلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: حَوِّلِي هَذَا، فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا".(١)

قال النووى:"هذا محمول على أنه كان قبل تحريم اتخاذ ما فيه صورة؛ فلهذا كان رسول الله ﷺ يدخل ويراه، ولاينكره قبل هذه المرة الأخيرة".(٢)

٢- أن يسير بمبدأ الحزم، والمضى بكل طاقاته البدنية والعقلية فى مَضاء وحسم بحيث لا يتسرب له شىء من الغمة والخفاء الذى قد يُدخل الوهن والتردد فى التنفيذ.

روى البخارى عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى ﷺ، قَالَ:" كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ : ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾(٣)؟ ، ثُمَّ قَالَ:أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ، قَالَ ﷺ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ".(٤)

قال ابن حجر:"فيه أن الأمر يقتضي الفور؛ لأنه عاتب الصحابي ﷺ على تأخير إجابته".(٥)

وإذا استشعر صاحب العزيمة بشاغل يثبطه عنها، أو عرض له عارض من الفتور أو الكسل ؛ فيلزمه معالجة ذلك ، روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: "أَنَّ فَتًى مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ الْغَزْوَ وَلَيْسَ

---

(١)أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة/ بَاب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ١٦٦٦/٣ رقم(٢١٠٧).

(٢)شرح النووى على مسلم ٨٧/١٤

(٣)سورة الأنفال من الآية ٢٤

(٤)أخرجه البخارى، كتاب فضائل القرآن/ بَاب فضل فاتحة الكتاب ١٨٧/٦ رقم(٥٠٠٦).

(٥)فتح البارى ١٥٨/٨

مَعِي مَا أَتَجَهَّزُ ، قَالَ:ائْتِ فُلَانًا، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ، قَالَ: يَا فُلَانَةُ، أَعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلَا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ، لَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيه". (١)

قلت: في الحديث أن أحد الصحابيين رضي الله عنه لم ترده حالته المادية المتعسرة عن عزيمة الجهاد ، وأن الآخر رضي الله عنه قد استعاض عن عزيمة الجهاد بعزيمة السخاء، قال النووى:" فيه أن مانوى الإنسان صرفه في جهة بر فتعذرت عليه تلك الجهة يستحب له بذله في جهة أخرى من البر".(٢)

٣- استثمار الوقت وحسن إدارته :

للوقت فى الإسلام قيمة عظيمة ،لا يعرف نفاسته إلا من كان مولعا بالهمة العالية ، وصاحب العزيمة شديد الحرص على اغتنام وقته، والاستفادة منه ؛ لذا تراه يقطع نفائس وقته على لذات روحه وليس فى خسائس شهواته، روى البخارى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاس: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ ". (٣)

ولهذا حثت السنة النبوية ذوى الهمم العالية على تَخَيّرَ أَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ لِلشُّرُوعِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَال ، وَمُهِمَّاتِ الْمطالِب، روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ:" سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الأعمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟، قَالَ:الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا، قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ:ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ:ثم الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي".(٤)

---

(١)أخرجه مسلم، كتاب الإمارة/ بَاب فَضْلِ إِعَانَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَرْكُوبٍ وَغَيْرِهِ، وَخِلَافَتِهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْر ١٥٠٦/٣ رقم(١٨٩٤).

(٢)شرح النووى على مسلم ٣٩/١٣

(٣)أخرجه البخارى، كتاب الرقائق/ بَاب لا عيش إلا عيش الآخرة ٨٨/٨ رقم(١٨٩٤).

(٤)أخرجه البخارى،كتاب مواقيت الصلاة/ بَاب فضل الصلاة لوقتها ١١٢/١ رقم(٥٢٧)، ومسلم،واللفظ له، كِتَاب الإيمان/بَاب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٩٠/١رقم(٨٥).

فى الحديث أن الصلاة على مواقيتها من أفضل الأعمال إلى الله ﷻ وأحبها ، ومن ثم صاحب العزيمة الذى يضبط وقته لهذه الأعمال أقرب وأحب إلى الله ﷻ من غيره؛ لأنه أتى بما يحبه الله ويرضاه.(١)

وقد مدح النبى ﷺ أصحاب العزائم الذين يترصدون دخول الأوقات للصلاة ، والأذكار ، وسائر الأعمال ، روى الحاكم عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومَ، وَالْأَظِلَّةَ لِذِكْرِ اللَّهِ".(٢)

وعلى النقيض من الطرف الآخر ممن تُوهَن عزائمهم ، وتضعف إرادتهم عن ضبط الأعمال فى أوقاتها فإنه يفوتهم كمال الأجر ، وتمام الثواب، روى الشيخان عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:"الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ ، كَأَنَّمَا وُتِرَ(٣) أَهْلَهُ وَمَالَه".(٤)

قلت: فاته مشهد حضور الملائكة فصار كالموتور ، قال الباجى: "يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَنَّ وَتْرَ أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَوَاتُ ثَوَابٍ يُدَّخَرُ لَهُ ، فَيَكُونُ مَا فَاتَهُ مِنْ ثَوَابِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي وَقْتِهَا مِثْلَ مَا فَاتَ الْمَوْتُورَ مِنْ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى وَتْرِ أَهْلِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ

---

(١)ينظر بتصرف فتح البارى لابن رجب ٢٠٨/٤

(٢)أخرجه الحاكم فى المستدرك،كتاب الإيمان ١١٥/١ رقم(١٦٣)،وقال:" هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَعَبْدُ الْجَبَّارِ الْعَطَّارُ ثِقَةٌ،وَقَدِ احْتَجَّ مُسْلِمٌ وَالْبُخَارِيُّ بِإِبْرَاهِيمَ السَّكْسَكِيِّ، وَإِذَا صَحَّ مِثْلُ هَذِهِ الِاسْتِقَامَةِ لَمْ يَضُرَّهُ تَوْهِينُ مَنْ أَفْسَدَ إِسْنَادَهُ"، ووافقه الذهبي فى التلخيص.

(٣)قال ابن الأثير:"وتر: نقص،وقيل: هو من الوتر: الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي ".النهاية فى غريب الحديث والأثر ١٤٨/٥

(٤)أخرجه البخارى، كتاب مواقيت الصلاة/ بَاب إثم من فاته العصر ١١٥/١ رقم(٥٥٢)،ومسلم،واللفظ له، كِتَاب المساجد ومواضع الصلاة/بَاب التغليظ فى تفويت صلاة العصر ٤٣٥/١ رقم(٢٦٢).

أَنَّ مَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ – ولم يكن من أهل الأعذار– يَلْحَقُهُ مِنْ الْأَسَفِ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الثَّوَابِ مِثْلُ مَا يَلْحَقُ مَنْ وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَه".(١)

وكان الصحابةﷺ من أفضل النماذج العملية فى حسن استثمار أوقاتهم كما هو الحال مع أبى هريرة ﷺ ، أسلم مؤخرا ، ولم يحز فضيلة السبق ، ومع ذلك كان يملك من الإرادة ما جعله يلحق بمن سبقه فى الإسلام، فعزم على استثمار وقته فى سماع الحديث، وملازمة النبىﷺ حتى فاقهم جميعا فى ذلك، يشهد بمنقبته أحد رواة السنة عبد الله بن عمرﷺ ، قال له يوما:" أَنْتَ كُنْتَ أَلْزَمَنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَحْفَظَنَا لِحَدِيثِهِ".(٢)

وقد أوردت السنة النبوية أن للعزائم ثمرات، منها: أن العزائم دافع قوي إلى غبطة المنغمسين فى معالى الأمور، وانتهاج طريقهم، ومن ذلك ما أخبر به النبىﷺ من همم تطمح إلى تعلم الحكمة لتُنفِّع بها غيرها ، وأخرى تطمع فى الثراء لتسخوا(٣) به فى الخيرات ، روى الإمام البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ:" لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ".(٤)

قال ابن بطال:" لم يتمنَّ أن يسلب صاحب المال ماله، أو صاحب الحكمة حكمته، وإنما تمنى أن يصير فى مثل حاله، من تفعّل الخير،

(١)المنتقى شرح الموطأ ٢٢/١

(٢)أخرجه الترمذى، كتاب المناقب/باب مناقب أبى هريرةﷺ٦٨٤/٥ رقم(٣٨٣٦)،وقال "حديث حسن".

(٣)قال الرازى:" السخاء الجود، وقد سخا يسخو، وسخي بالكسر سخاء ".مختار الصحاح ص١٤٤

(٤)أخرجه البخارى، كتاب فضائل القرآن/باب اغتباط صاحب القرآن ١٩١/٦ ، ١٩٢ رقم(٥٠٢٦)

وتمنى الخير والصلاح جائز، وقد تمنى ذلك الصالحون والأخيار؛ لأن من أوتى مثل هذه الحال فينبغى أن يغتبط بها وينافس فيها".(١)

ومن ثمراتها أيضا أن العزم دافع إلى أن يعقد صاحب الهمة مع اللهﷻ عقدا مؤكدا، وميثاقا غليظا يحافظ به على إيمانه ، فلا يشط عنه أبدا، وفى السنة النبوية مواقف كثيرة للصحابةﷺ الذين طرحوا الفتور والكسل، وجدُّوا فى الهمة والشجاعة منها ما رواه الشيخان عَنْ أَنَسٍﷺ أَنَّ عَمَّهُ-أنس بن النضر-ﷺ غَابَ عَنْ بَدْرٍ، فَقَالَ:" غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّﷺ لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّﷺ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أُجِدُّ، فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَهُزِمَ النَّاسُ، فَقَالَ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي المُسْلِمِينَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍﷺ، فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَمَضَى فَقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْم".(٢)

قال ابن الجوزى فى شرح موقف أنسﷺ:" فلولا هذا العزم ما كان انبساط وجهه يوم حلف والله، لا تكسر سن الربيعﷺ (٣) ". (٤)

ومن ثمرات العزائم أيضا أنها قوة دائبة تدفع بالهمة دفعا إلى مضاعفة الأعمال ، والاستكثار من أبواب الخيرات؛ لتشتد وثاقها بربها، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِﷺ قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي

(١)بتصرف شرح صحيح البخارى ١٥٨/١

(٢)أخرجه البخارى، كتاب المغازى/باب غزوة أحد٩٥/٥رقم(٤٠٤٨)،ومسلم، كتاب الإمارة/باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥١٢/٣رقم(١٩٠٣).

(٣)أخرجه البخارى، كتاب الجهاد والسير/بَاب قَوْلِ اللَّـهِ تَعَالَى﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ١٩/٤ رقم(٢٨٠٦)،ومسلم، كِتَاب الْقَسَامَةِ، وَالْمُحَارِبِينَ، وَالْقِصَاصِ، وَالدِّيَاتِ/بَاب إِثْبَاتِ الْقِصَاصِ فِي الْأَسْنَانِ، وَمَا فِي مَعْنَاهَا١٣٠٢/٣رقم(١٦٧٥).

(٤)صيد الخاطر ١٥٥/١

سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟، قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ".(١)

قال النووى:"المطلوب تشفيع صدقة بأخرى، والتنبيه على فضل الصدقة، والاستكثار منها".(٢)

وورد أن حجبة الجنة يتسابقون إلى إكرام هذا النوع من أصناف العزائم كما عند ابن حبان وغيره عن أبى ذر ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ابْتَدَرَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ ، قال :قُلْتُ: وَمَا زَوْجَانِ؟، قَالَ: "فَرَسَانِ مِنْ خَيْلِهِ، بَعِيرَانِ مِنْ إِبِلِهِ، عَبْدَانِ مِنْ رَقِيقِهِ".(٣)

ولقد كانت السنة المشرفة أشد حرصا على أن لا يكون طالب المعالى فى غرة(٤) ، أو غفلة سادرة(٥) يحيد بها عن السبيل أو يتخلف بها عن

---

(١)أخرجه البخارى، كتاب الصوم/بَاب الريان للصائمين ٣/٢٥ رقم(١٨٩٧)،ومسلم، كِتَاب الزكاة/بَاب من جمع الصدقة وأعمال البر ٢/٧١١ رقم(١٠٢٧).

(٢)بتصرف المنهاج شرح النووى على مسلم ٧/١١٦

(٣)أخرجه ابن حبان فى صحيحه، كتاب السير/ باب فَضْلِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فصل فى ذِكْر ابْتِدَارِ خَزَنَةِ الْجِنَّانِ فِي الْقِيَامَةِ عِنْدَ نِدَاءِ مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِه ١٠/٥٠٢ رقم(٤٦٤٤)،وأخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين ٢/٩٥ ، ٩٦ رقم(٢٤٣٩)، وقال:"صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبى فى التلخيص ، وأخرجه أيضا أبو عوانة فى مستخرجه،كتاب الجهاد/باب بَيَان ثَوَابِ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصِفَتُهُمَا ٤/٥٠١ رقم(٧٤٨٢)، وزاد فيه:"حتَّى عَدَّ مِنْ كُلِّ المَالِ".

(٤)قال الرازى:" الغرة :الغفلة".مختار الصحاح ١/٢٢٥

(٥)قال الزبيدى:" إنه سادِرٌ فِي الغَيّ: تائِهٌ ".تاج العروس من جواهر القاموس ١١/٥٢٩

السباق ، نجد فى السنة مسارعة الإمام علىﷺ إلى نصرة النبىﷺ يوم خيبر، متناسيا وجعه ، روى الشيخان عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِﷺ قَالَ:" كَانَ عَلِيٌّﷺ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ ، فَخَرَجَ عَلِيٌّﷺ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ:" لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ-أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ- غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ"، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّﷺ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: ذَا عَلِيٌّﷺ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ". (1)

من الحديث يعرف أن الداء وما على شاكلته من الأعراض المعنوية وكذا المادية لم يكن باعثا على الهمود ، أو كلال العزائم، أو القنوط، أو هزيمة الروح، وإنما على النقيض ناهضا إلى النشاط، والهمة، وإذكاء الشعلة ، وهمة عالية كهمة الإمام علىﷺ حق على باريها ﷻ أن ينصرها، ويرفع رايتها؛ لأنها استنكرت التخلف عن الجهاد، والقعود مع الأطفال والنساء والعجزة.

قال ابن حجر:" كأنه-الإمام علىﷺ- أنكر على نفسه تأخره عن النبيﷺ ".(2)

وقد جنح إلى هذه الهمة ، وتلك النشوة فى ذات الغزوة أيضا كثير من الصحابةﷺ غير الإمام على ﷺ ، أبدى كل منهم طاقات مدفونة، وعزائم مخبوءة لا تنتفض إلا وقت الحاجة ، فعند النسائى من حديث بريدةﷺ قال:

---

(1)أخرجه البخارى، واللفظ له، كتاب الجهاد والسير/بَاب ما قيل فى لواء النبىﷺ٤/٥٤ رقم(٢٩٧٦)،ومسلم، كِتَاب فضائل الصحابة ﷺ/بَاب من فضائل علىﷺ٤/١٨٧٢ رقم(٢٤٠٧).

(2)فتح البارى ٤٧٦/٧

" فَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِﷺ إِلَّا هُوَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ اللِّوَاءِ، قَالَ: وَأَنَا فِيمَنْ تَطَاوَلَ لَهَا".(١)

وكذا عمر بن الخطاب ﷺ كما عند مسلم قال: "مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، فَتَسَاوَرْتُ(٢) لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا".(٣)

يقول شيخ الأزهر محمد الخضر حسين:" فمن وضع أمامه غاية شريفة ، ورام من قومه العمل لها بعزم لا يخالطه فتور فما عليه إلا أن يريهم وجه شرف تلك الغاية، ثم يصف لهم طريقها الناجح فلا يكون منهم إلا أن يتسابقوا إليها ، ويقتحموا كل عقبة تلاقيهم فى سبيلها... وإذا ذكرنا العزم النافذ فى خصال الشرف فإنما نريد الإقدام على الأمر بعد استبانة عقبته...وما اقترن العزم الصحيح بأدب التوكل على من بيده ملكوت كل شىء إلا كانت عاقبته نجاحا ورشدا ".(٤)

---

(١)أخرجه النسائى، كتاب الخصائص/باب ذكر منزلة علىﷺ من اللهﷻ٧/٤١٢ رقم(٨٣٤٦)،وإسناده حسن فيه الحسين بن واقد المروزى، وقال الأرنؤوط فى تحقيقه لمسند أحمد ٣٨/٩٨:"هذا إسناد قوى من أجل حسين بن واقد المروزى ، فهو صدوق لا بأس به".

قلت:ابن واقد وثقه ابن المبارك،وابن معين،وقال أحمد،وأبوزرعة، وأبوداود، والنسائى:ليس بأس، وقال أحمد مرة:ما أنكر حديثه عن أبي المنيب،وقال تارة: في أحاديثه زيادة ما أدري أي شيء هي،وقال الساجي: فيه نظر،وهو صدوق يهم،وقال ابن حجر :ثقة له أوهام. ينظر تهذيب التهذيب٢/٣٧٣ ، ٣٧٤، وتقريب التهذيب١/١٦٩

(٢)قال ابن الأثير:" تساورت:رفعت لها شخصي ".النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٤٢٠

(٣)أخرجه مسلم، كِتَاب فضائل الصحابةﷺ /بَاب من فضائل علىﷺ٤/١٨٧١ رقم(٢٤٠٥)

(٤)الموسوعة الكاملة للإمام محمد الخضر حسين ٥/١٣٦

ولا ينبغى أن يفهم من دعوة السنة النبوية إلى العزيمة والإصرار أن يأخذ صاحب الهمة العالية على عاتقه من العبء الذى لا ينوء به، فهذا فهم خاطىء لسببيين:

الأول: الأصل أن المسلم يأتى بالنوافل والقربات مادام لم يفوت بذلك حقا، أو واجبا، أو يلحقه ضررا ، وذلك جلى فى نصيحة النبىﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاصﷺ حين أثقل على نفسه بنافلة الصوم، وختم ورده من القرآن يوميا ، روى الشيخان عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍوﷺ، قَالَ:" أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا(١) مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، ذَكَرَ لِلنَّبِيِّﷺ فَقَالَ:الْقَنِي بِهِ، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ:كَيْفَ تَصُومُ؟، قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ:صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ:صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ:صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً ، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِﷺ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا، فَارَقَ النَّبِيَّﷺعَلَيْهِ".(٢)

---

(١)قال ابن الأثير:"كنفا:لم يدخل يده معها ".النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢٠٤/٤

(٢)أخرجه البخارى ،واللفظ له، كتاب فضائل القرآن/بَاب فى كم يقرأ القرآن؟ ١٩٦/٦ رقم (٥٠٥٢)، ومسلم، كِتَاب الصيام /بَاب النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ، أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا، أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ، وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ، وَإِفْطَارِ يَوْم ٨١٧/٢ رقم(١١٩٥).

قال ابن بطال:" قال المهلب: وحق الجسم أن يترك فيه من القوة ما يستديم به العمل؛ لأنه إذا أجهد نفسه قطعها عن العبادة وفترت".(١)

الثانى: أن التكاليف هى عهد الله ﷻ مع عباده ، لا مجال فيها للهزل، أو اللهو، وإنما تحتاج إلى كد ومضاعفة، قال الله ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾(٢)، وأمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ الدين بقوة العزم والتصميم فقال ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾(٣) ، وقال ﷺ فيما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ :" وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ".(٤)

نقـول ومع كونها شاقـة فقد جُعل الأجر على قـدر المشقة ، قال ﷺ لعَائِشَةَ- رضى الله عنها- فى عمرتها كما فى الصحيحين:" وَلَكِنَّهَا عَلَى قَـدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِك"(٥)، وقـال ﷺ فى قـارىء القـرآن المتتعتع فى القـراءة: " وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَان".(٦)

قلت: الأجور الواردة فى الحديثين على مقدار تحمل المشقة، وليس على عين المشاق(٧)، وقد استنبط الأصوليون من ذلك قاعدة:"أن ما كان أكثر فعلا كان أكثر فضلا".(٨)

---

(١)شرح صحيح البخارى٤/١١٩

(٢)سورة البقرة من الآية ٦٣

(٣)سورة مريم من الآية ٦٥

(٤)أخرجه البخارى، كتاب الرقاق/بَاب الصبر عن محارم الله ٨/٩٩ رقم(٦٤٧٠).

(٥)أخرجه البخارى ، واللفظ لـه كتاب العمرة/باب أجر العمرة على قدر النصب ٣/٥ رقم(١٧٨٧) ،ومسلم، كتاب الحج/بَاب بَيَانِ وُجُوهِ الْإِحْرَامِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ، وَجَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ عَلَى الْعُمْرَةِ، وَمَتَى يَحِلُّ الْقَارِنُ مِنْ نُسُكِهِ ٢/٨٧٦ رقم(١٢١١).

(٦)أخرجه عن عائشة- رضى الله عنها- مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/بَاب فضل الماهر فى القرآن، والذى يتتعتع فيه ١/٥٤٩ رقم (٧٩٨).

(٧)ينظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٣٦

(٨)ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر ص١٤٣، والزركشى فى المنثور في القواعد الفقهية ٢/٤١٣

وقد أجاد الكلام فى ذلك صاحب عون المعبود قال:" الفعل إذا لم يكن شاقا كان حظ النفس فيه كثيرا فيقل الإخلاص، فإذا كثرت المشقة كان ذلك دليلا على أنه جعل خالصا للهﷻ ، فالثواب في الحقيقة مرتب على مراتب الإخلاص، لا على مراتب المشقة".(١)

ولا شك أن عزائم النفوس هى أسيرة لرغبات الاستجابة ، وصاحب الهمة يملك من الطاقات المجمعة، والقوة الدافقة ما تدفع أعماق قلبه إلي تلبية معالى الأمور، قال تعالى فى وصف المؤمنين ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢)

قال الجنيد:"لقد فاز قوم دلهم وليهم على مختصر الطريق، فأوقفهم على محجة المناجاة، ولوَّح لهم على فهم الخطاب، فنهضت العقول مستجيبة بحسن التوجه؛ لإقامة ما به يحظون عنده".(٣)

وتزخر السنة النبوية بكنوز ثمينة من الصحابةﷺ ، اختلطت دماؤهم بالعزيمة ، يسابقون بها الجياد ، وهذه بعض النماذج:

فى باب الجهاد نجد الزبير بن العوامﷺ يجيب النبىﷺ مسرعا حين أراده طليعة وحده ، روى عَنْ جَابِرٍﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّﷺ:مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ؟، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَﷺ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟، قَالَ الزُّبَيْرُﷺ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ".(٤)

وفى مجال البر والصدقات يجود أبو طلحةﷺ بأنفس شىء يملكه حين سمع أن عظيم البر بسط الأكف بالجود والنفقات ، روى مسلم عَنْ أَنَسٍﷺ قَالَ:" لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٥)، قَالَ

(١)عون المعبود ١١٦/١٤

(٢)سورة النور الآية ٥١

(٣)ينظر بتصرف اللمع ص٤١٢

(٤)أخرجه البخارى، كتاب الجهاد والسير / باب فضل الطليعة ٢٧/٤ رقم(٢٨٤٦).

(٥)سورة آل عمران من الآية ٩٢

أَبُو طَلْحَةَ ﷺ: أَرَى رَبَّنَا يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَأُشْهِدُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ أَرْضِي بَرِيحَا لِلَّهِ ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اجْعَلْهَا فِي قَرَابَتِكَ، قَالَ: فَجَعَلَهَا فِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ" [١]،وعند الإمام البخارى أنه قال للنبى ﷺ:" وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ[٢]، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ،فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ". [٣]

قال الزرقانى:" فِيهِ فَضِيلَةٌ لِأَبِي طَلْحَةَ ﷺ ... فَتَرَقَّى هُوَ إِلَى إِنْفَاقِ أَحَبِّ الْمَحْبُوبِ، فَصَوَّبَهُ ﷺ وَشَكَرَ فِعْلَهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَخُصَّ بِهَا أَهْلَهُ، وَكَنَّى عَنْ رِضَاهُ بِذَلِكَ بِقَوْلِه بَخْ ".[٤]

وفى باب العلم يتطلع الصحابة ﷺ إلى أن يكون كل منهم هو الأمين الذى يبعثه النبى ﷺ إلى نجران[٥]يعلمهم القرآن والسنة، روى الشيخان عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ:"جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ابْعَثْ

---

(١)أخرجه مسلم، كتاب الزكاة/ باب فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ، وَالزَّوْجِ، وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِين ٢/ ٦٩٤ رقم(٩٩٨).

(٢)بيرحاء:"موضع بقرب المسجد بالمدينة المنورة ،يعرف بقصر بنى جديلة".أطلس الحديث النبوى ص٨٥

(٣)أخرجه البخارى، كتاب الزكاة/ باب الزكاة على الأقارب ٢/١١٩ ، ١٢٠ رقم(١٤٦١).

(٤)شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٤/٦٦٧

(٥)نجران:"من بلاد اليمن،جنوب مكة المكرمة،سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب ابن ابن قحطان؛لأنه كان أول من عمرها ونزلها ،وصار إليها؛ لأنه رأى رؤيا فهالته، فخرج رائدا حتى انتهى إلى واد فنزل به، فسمي نجران به، وكان أهلها على دين العرب يعبدون نخلة عظيمة، ثم دخلت النصرانية حين دعا أحد الرهبانيين ربه أن يقتلع تلك الشجرة ، فتبعه أهل نجران ، ثم دخل أهلها الإسلام ففتحت سنة عشر صلحا".ينظر بتصرف معجم البلدان ٥/٢٦٦ ، ٢٦٧ ، والروض المعطار فى خبر الأقطار ص٥٧٣ ، وأطلس الحديث النبوى ص٣٥٧

إِلَيْنَا رَجُلًا أَمِينًا،فقَالَ:لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ حَقَّ أَمِينٍ، قَالَ:فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِﷺ".(١)

قال الشيخ زكريا الأنصارى:" تطلعوا إلى الولاية، ورغبوا فيها حرصًا على أن يكون من يتولاها هو الأمين الموعود في الحديث، لا حرصًا عليها من حيث هي".(٢)

وفى مجال الأخلاق نرى عزيمة جابر بن سليم الهُجيمىﷺ فى الامتناع عن السباب سمعا وطاعة للنبىﷺ ، روى أبو داود عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍﷺ، قَالَ:" قُلْتُ للنبىﷺ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَﷺ: لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا قَالَﷺ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً".(٣)

قال ابن علان فى شرح الحديث:" فيه كمال الامتثال ، وعدم المشاحنة في شيء من ذلك".(٤)

ولم تكن عزائمهم متجهة إلى سرعة تنفيد الأوامر فقط، وإنما كانت أيضا فى جانب النواهى ، ومن ذلك مبادرتهم إلى سكب الخمر حين بلغهم التحريم ، روى الشيخان عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍﷺ:" مَا كَانَ لَنَا خَمْرٌ غَيْرُ فَضِيخِكُمْ هَذَا الَّذِي تُسَمُّونَهُ الفَضِيخَ(٥)، فَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ، وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَهَلْ بَلَغَكُمُ الخَبَرُ؟ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: حُرِّمَتِ

(١)أخرجه البخارى، كتاب المغازى/بَاب قصة أهل نجران١٧٢/٥ رقم(٤٣٨١)،ومسلم،واللفظ له، كِتَاب فضائل الصحابةﷺ /بَاب فضائل أبى عبيدة بن الجراحﷺ١٨٨٢/٤ رقم(٢٤٢٠).

(٢)منحة البارى بشرح صحيح البخارى ٧٥/٧

(٣)أخرجه أبوداود بسند حسن ، كتاب اللباس/باب ما جاء فى إسبال الإزار ٥٦/٤ رقم(٤٠٨٤)،وقال العراقى فى تخريج الإحياء (ص١٠١١):"إسناده جيد"،وقال الذهبى فى المهذب(٢٣٥/٨):"إسناده حسن".

(٤)دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٢٧٣/٥

(٥)الفضيخ: "ما يسكر شاربه فيفضخه".النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤٥٣/٣

الخَمْرُ ،قَالُوا: أَهْرِقْ هَذِهِ القِلاَلَ يَا أَنَسُ، قَالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلاَ رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ ".(١)

قال الأستاذ مجدى الهلالى:" ألم يكن من الطبيعي أن يستوثقوا من الخبر بأن يذهبوا لرسول الله ﷺ فيعرفوا طبيعة الأمر، وحقيقة التحريم قبل أن يتخذوا أي إجراء؟! لم يفعلوا ذلك، بل دفعتهم شدة حساسيتهم الإيمانية، وورعهم ويقظتهم إلى ما فعلوه".(٢)

والحق أن المداد لا يكفى لسرد همم عزائم الصحابةﷺ ، لكنى أقف أمام هذه النماذج مغتبطا ، سائلا ربىﷻ أن يحشرنى وكل من قرأ هذا البحث مع هؤلاء الثلة المقربينﷺ.

قال ابن عبد البر :"وحسبك بمثل هذا قوة من عمل القرن المختار خير القرون".(٣)

---

(١)أخرجه البخارى، واللفظ له، كتاب تفسير القرآن /باب قَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[المائدة: ٩٠] ٥٣/٦ رقم(٤٦١٧)، ومسلم، كتاب الأشربة/ بَاب تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَبَيَانِ أَنَّهَا تَكُونُ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ، وَمِنَ التَّمْرِ، وَالْبُسْرِ، وَالزَّبِيبِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا يُسْكِر ٧١٣/٢ رقم(١٠٢٩).

(٢)التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم ص٢٣

(٣)التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٤٦/١٧

المطلب الرابع
ضرورة اقتران علو الهمة بالمثابرة

تتطلب الهمة العالية نفسا تواقة، ومتحركة دائما إلى الاستقامة والجد، والبعد عن المراوغة ، ولما كان لا يستشرف لها إلا من أيده الله بالتوفيق والعناية(١) فقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالمثابرة فى طاعته ، والمواظبة على عبادته إلى الممات، قال تعالى ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾(٢) ، وقال ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ ﴾ (٣)

ولقد كان النبى ﷺ أسرع إلى تنفيذ وحى الله ﷻ فى هذا ، ومن ذلك ما تخبرنا به السنة المشرفة عن مثابرته ﷺ فى الذكر حتى صار يجْرِي مَعَ أنفاسه(٤) ،روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ- رضى الله عنها-، قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ".(٥)

وما نقل من تعاهد النبى ﷺ لركعتى الفجر، روى الشيخان عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُدًا عَلَى رَكْعَتَيِ الفَجْرِ".(٦)

قال الشوكانى:"فيه استحباب التعاهد لهما، وكراهة التفريط فيهما".(٧)

ومنهج الإسلام فى التعبد لله ﷻ لا يجنح فيه صاحب الهمة إلى الإفراط، ولا يميل به إلى التفريط، وإنما هو منهج وسط، قائم على

(١)ينظر نحو هذا المعنى التيسير بشرح الجامع الصغير ١٤٩/١

(٢)سورة الحجر الآية ٩٩

(٣)سورة هود من الآية ١١٢

(٤)ينظر الشمائل الشريفة ٣٠٣/١

(٥)أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الحيض/باب ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْجَنَابَةِ، وَغَيْرِهَا ٢٨٢/١ رقم(٣٧٣).

(٦)أخرجه البخارى، كتاب التهجد/بَاب تَعَاهُدِ رَكْعَتَيِ الفَجْرِ وَمَنْ سَمَّاهُمَا تَطَوُّعًا ٥٧/٢ رقم(١١٦٩)،ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب تعاهد ركعتي الفجر ٥٠١/١ رقم(٧٢٤).

(٧)نيل الأوطار ٢٥/٣

الاعتدال،قاعدته أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وقد أمر الله ﷻ بالقصد فقال﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ (١)، وقال في شأن المؤمنين ﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(٢)

قال ابن عاشور:"الْقِسْطُ: الْعَدْلُ أَيِ الْفِعْلُ الَّذِي هُوَ وَسَطٌ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَهُوَ الْفَضِيلَةُ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ، فَاللَّهُ أَمَرَ بِالْفَضَائِلِ وَبِمَا تَشْهَدُ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ أَنَّهُ صَلَاحٌ مَحْضٌ، وَأَنَّهُ حَسَنٌ مُسْتَقِيم ".(٣)

وهذه الوسطية تجعل من صاحب الهمة ملازما للخدمة ، ومكثرا من التردد إلى الطاعة فى كل وقته ، ليس كأهل الجفاء ممن أعرضوا بعد الوصل. (٤)

قال بعض العارفين:" كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة؛ فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة". (٥)

إن الاعتدال سمة أهل الاستقامة لا يجوز لهم الإفراط ، وتجاوز الحد الذى يؤدى إلى إجهاد النفس فيسقمها بالكلال والملل، كما ورد فى تلك المرأة التى مُدحت عند النبىﷺ بإفراطها فى التعبد، وقالوا فى إطراء أنها " لَا تَنَامُ، تُصَلِّي"، فردﷺ هذا التمدح،وبين أن عملها ليس بممدوح شرعا(٦)، قالﷺ:"عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا (٧)،

(١)سورة الأعراف من الآية ٢٩

(٢)سورة الفرقان من الآية ٦٧

(٣)التحرير والتنوير ٨٧/٨

(٤)ينظر بتصرف فتح البارى ٢٩٩/١١

(٥)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١٠٦/٢

(٦)ينظر بتصرف فتح البارى لابن رجب ١٦٤/١

(٧)الفتور والملل ثابت فى حق كل ما هو محدث، أما فى حق الله تعالى فمستحيل، قال البيضاوى: إنما–الملل– يصدق في حق من يعتريه التغير والانكسار، أما من تنزه عنه فيستحيل تصوره في حقه، فإذا أسند إليه أول بما هو منتهاه، وغاية معناه كإسناد الرحمة، والغضب، والحياء، والضحك إليه تعالى.انتهى، وقد اختلف العلماء فى تأويل الملال فى الحديث فذهب الإسماعيلى، والقرطبى،والهروى، وجماعة من المحققين إلى =

قالت عائشة– رضى الله عنها: وَكَانَ أَحَبّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُه". (١)

ولما بلغهﷺ صنيع ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم رأى فيهم استنزاف طاقاتهم ، وإخمادها بالشاق من العبادات، فالأول يصلى الليل أبدا ، والثانى يصوم دهره أبدا ، والثالث يحرم النكاح على نفسه، أنكرﷺ صنيعهم، وقال:"أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".(٢)

ولم يكن النهى فى جانب الإفراط فحسب، وإنما كان أيضا فى مقابله وهو التفريط ،وكانت السنة النبوية أشد صرامة فى ذلك ، فمن نصائح النبىﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:" لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ كَانَ يقُومُ اللَّيلَ، ثُمَّ تَرَكَه"(٣)، ووبخﷺ من ترك تعاهد القرآن بعد حفظه،روى الشيخان

=

أنه من باب المقابلة بِنَاء على أَن حَتَّى على بابها فِي انْتِهَاء الْغَايَة ، قال التوربشتي: إسناد الملال إلى الله على طريق الازدواج، والمشاكلة، والعرب تذكر أحد اللفظين موافقة للأخرى وإن خالفتها،قال تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى:٤٠]، وَقيل حتى هُنَا بِمَعْنى الْوَاو أَي لَا يمل الله وتملون ، فعلى هذا نفى عنه الملل وأثبته لهم، وهو قول المازرى، وَقيل بِمَعْنى حِين، وَقيل هُوَ مدرج ، ورجح الحافظ ابن حجر أنه من باب المقابلة اللفظية ".ينظر بتصرف التيسير بشرح الجامع الصغير ١٤٦/٢ ،وفيض القدير ٣٥٤/٤ ، وفتح البارى ١٠٢/١

(١)أخرجه عن عائشة – رضى الله عنها– البخارى، كتاب الإيمان/بَاب أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِعَزَّ وَجَلَّ أَدْوَمُه ١٧/١ رقم (٤٣) ،ومسلم،واللفظ له، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا/بَاب أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِ اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَوِ الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أَوْ يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِك ٥٤٢/١ رقم(٧٨٥).

(٢)أخرجه عن أنس رضي الله عنه البخارى، كتاب النكاح/بَاب الترغيب فى النكاح ٢/٧رقم(٥٠٦٣)،ومسلم،واللفظ له، كِتَاب النكاح/بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْم١٠٢٠/٢رقم (١٤٠١).

(٣)أخرجه البخارى، كتاب التهجد/بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ تَرْكِ قِيَامِ اللَّيْلِ لِمَنْ كَانَ يَقُومُه٥٤/٢ رقم (١١٥٢).

عَنْ ابن مسعودﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا(١) مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ". (٢)

وذمﷺمَن تعلم الرمى ثم تركه بعد أن كان ماهرا فيه، روى مسلم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَﷺ قال سَمِعْتُ رَسُول اللهِﷺ قَالَ:"مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا– أَوْ– قَدْ عَصَى". (٣)

قال القارى:" وهو أشد مما لم يتعلم ؛ لأنه لم يدخل في زمرتهم، وهذا دخل، ثم خرج، كأنه رأى النقص فيه ، واستهزأ به، وكل ذلك كفران لتلك النعمة الخطيرة ذكره الطيبي".(٤)

وبلغ من تعاهدهمﷺ للمواظبة أن بعضهم ظنوا أنهم من أهل الإجحاف حين ناموا عن صلاة الفجر، وما أيقظهم إلا لفح الشمس، فصلوها قضاء، كما رواه الترمذى عن أبى قتادة الأنصارىﷺ – وفيه أنهم– قالوا: يَا رَسُول الله فرطنا فِي صَلَاتنَا، فقال رسول اللهﷺ :" لَا تَفْرِيطَ فِي النَّوْمِ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَة ".(٥)

قلت:دل الحديث أن مصدر دافعية المداومة عندهمﷺ قد بلغت بهم كمال التدين، وحسن السير، واستكمال الفضائل.

---

(١)قال ابن الأثير:"تفصيا أى أَشَدُّ خُروجا ".النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤٥٢/٣

(٢)أخرجه البخارى ،واللفظ له، كتاب فضائل القرآن/بَاب استذكار القرآن وتعاهده ١٩٣/٩ رقم (٥٠٣٢)،ومسلم ، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا/بَاب الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ، وَكَرَاهَةِ قَوْلِ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيتُهَا ٥٥٤/١ رقم(٧٩٠).

(٣)أخرجه مسلم، كِتَاب الإمارة/ بَاب فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَه ١٥٢٢/٣ رقم(١٩١٩).

(٤)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٤٩٩/٦

(٥)أخرجه الترمذى ،كتاب الصلاة/باب ما جاء فى النوم عن الصلاة ٣٣٤/١ ، ٣٣٥ رقم(١٧٧)،وقال:"حديث حسن صحيح" ،وقال ابن الملقن فى (البدر المنير ١٩٣/٣):"هذا الحديث صحيح".

قَالَ القشيرى: "الاستقامة درجة بِهَا كمال الأمور وتمامها ، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لَمْ يكن مستقيما فِي حالته ضاع سعيه، وخاب جهده ،قَالَ تَعَالَى﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾(١)، ومن لَمْ يكن مستقيما فِي صفته لَمْ يرتق من مقامه إِلَى غيره".(٢)

وفى السنة النبوية كثير من النماذج التى تؤكد همة الصحابةﷺ فى المواظبة، والمثابرة على الطاعات والقربات:

ففى جانب العبادات روى الإمام مسلم بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ- رضى الله عنها-، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ يَقُولُ:"مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ، قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ- رضى الله عنها-: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِﷺ ،وَقَالَ عَنْبَسَةُ:مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ-رضى الله عنها-،وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ،وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ:مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ".(٣)

وفى هذا الباب أيضا ثابر الإمام علىﷺ على الذكر مع كثرة شواغله، روى مسلم عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍﷺ، أَنَّ فَاطِمَةَ -عَلَيْهَا السَّلاَمُ- أَتَتِ النَّبِيَّﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ: "أَلاَ أُخْبِرُكِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْهُ؟ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عِنْدَ مَنَامِكِ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدِينَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ» ثُمَّ قَالَ سُفْيَانُ: إِحْدَاهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ، فَمَا تَرَكْتُهَا بَعْدُ، قِيلَ: وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ".(٤)

---

(١)سورة النحل من الآية ١٩٢

(٢)الرسالة القشيرية٢/٣٥٦

(٣)أخرجه مسلم، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا/بَاب فَضْلِ السُّنَنِ الرَّاتِبَةِ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَبَعْدَهُنَّ، وَبَيَانِ عَدَدِهِن ١/٥٠٢ رقم(٧٢٨).

(٤)أخرجه البخارى، كتاب النفقات/باب خادم المرأة ٧/٦٥ رقم(٥٣٦٢)،ومسلم، كِتَاب الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَار/بَاب التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْم ٤/٢٠٩١ رقم(٨٠).

وفى باب البر والصدقات يواظب هذا المنفق على نفقته مع علمه فى كل مرة أنها تقع فى يد من لا يستحقها، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ؟، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ:اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ،وَعَلَى زَانِيَةٍ،وَعَلَى غَنِيٍّ،فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ:أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ،وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ".(١)

قال القارى:" قيل له صدقاتك مقبولة، وكلها في مواضعها موضوعة، فلا تخلوا عن مثوبة".(٢)

وفى باب تحصيل العلم كان الصحابة﵃ يجعلوه مناوبة بينهم حتى لا يفوتهم أحكام الحلال والحرام، والأوامر والنواهى، وسماع الرواية، وتلقى القرآن عن النبى ﷺ ، روى البخارى عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: "كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلَ صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، فَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ؟ ، فَفَزِعْتُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ- رضى الله عنها- فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟، قَالَتْ: لاَ أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ

---

(١)أخرجه البخارى،واللفظ له،كِتَاب الزكاة/بَاب إذا تصدق على غنى وهو لا يعلم ٢/١١٠ ، ١١١رقم (١٤٢١)، ومسلم،كتاب الزكاة/باب ثبوت أجر المتصدق،وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها ٢/٧٠٩رقم (١٠٢٢).

(٢)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/١٣٢٦

عَلَى النَّبِيِّﷺ ، فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟، قَالَ: لاَ ، فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ". [1]

قلت: دل الحديث الشريف أن الصحبة الصالحة يُستعان بها على تحقيق علو الهمم ، وتذكير الأصحاب بأهدافهم، وإنما كان التناوب فى الحديث وسيلة للمثابرة فى طلب العلم؛ لأنّ ظروف العمل لا تمكنهم من طلب العلم يوميا. [2]

خلاصة القول أن تحقيق الغايات لا يكمن فى كثرة العمل، وإنما بالمجاهدة فى استمراريته حتى تغدو صفة ملازمة للسالك فى الطريق كالجبل الراسخ، لا يرده عن ذلك عارض أو شاغل.

ولا ينبغى أن يفهم من هذه الروايات أن أصحابها أرادوا المباهاة بأعمالهم ، وإنما قصدوا بها تحريض غيرهم على المواظبة والاستقامة.

قَالَ النَّوَوِيّ:" يحسن من الْعَالم أَو مِمَّن يَقْتَدِي بِهِ أَن يَقُول مثل ذَلِك وَلَا يُرِيد بِهِ تَزْكِيَة نَفسه؛ بل يُرِيد حث السامعين على التخلق بخلقه فِي ذَلِك، وتحريضهم على الْمُحَافظَة عَلَيْه، وتنشيطهم لفعله".[3]

(١)أخرجه البخارى، كتاب العلم/باب التناوب فى العلم ١/٢٩ رقم(٨٩).

(٢)ينظر منار القارى شرح مختصر صحيح البخارى ١/١٩٠

(٣)شرح النووى على مسلم ٦/٩

المطلب الخامس

ضرورة اقتران علو الهمة بالسبق والمنافسة

إن من يتطلع إلى حال الدنيا ، وأنه لا بد من الظعن عنها يدرك أن المأمول الحقيقى هو فى ما عند الله ﷻ ، وأن ما عنده تعالى لا ينال إلا بالاستباق إلى طاعته ومحبته، قال تعالى ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾[(١)]، وندبهم ﷻ إلى المزاحمة فى عبادته فقال ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾[(٢)]

وقد حضت السنة النبوية على التنافس، وبينت أن ميدان السباق هو الآخرة، روى الترمذى عن المُسْتَوْرِدِ الفهرى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ؟".[(٣)]

وهذا التصوير البليغ دافع إلى أن يتوق صاحب الهمة إلى الأحسن عملا ، فالتنافس الحقيقى بين المحسن والأكثر إحسانا، روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ[(٤)] ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ ، قَالُوا : وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ".[(٥)]

---

(١)سورة الحديد من الآية ٢١

(٢)سورة المائدة من الآية ٤٨

(٣)سبق تخريجه فى مقدمة البحث.

(٤)قال ابن الأثير :" جُمدان:بِضَمِّ الْجِيم، وَسُكُونِ الْمِيم، فِي آخِرِهِ نُونٌ، جَبَلٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنَ الْمَدِينَة ".النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢٩٢/١

(٥)أخرجه مسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار/باب الحث على ذكر الله ﷻ ٢٠٦٢/٤ رقم (٢٦٧٦).

قال ابن القيم:"عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق".(١)

وبلغ أوج التنافس بين ذوى الهمم أن أصحاب الأعذار كانوا يؤثرون السعى إلى المساجد دون أن يلتفتوا إلى علتهم؛ لئلا يستأثر بفضائله الأصحاء، روى مسلم عن ابن مسعودﷺ قال:"وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ".(٢)

وقد غلظت السنة النبوية النكير على من يتوانى عن منافسة العاملين، روى البخارى عن أبي سعيد الخدريِّﷺ أنَّ رَسُول اللهِﷺ رأى في أصْحَابِهِ تَأَخُّراً، فَقَالَ لَهُمْ:"تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهﷻ".(٣)

وأطلقت السنة تحذيرا مخيفا لأصحاب الهمم من النكوص عن التنافس، والتشبه بالكسالى فى هممهم السافلة، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّﷺ: "لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا". (٤)

---

(١)الوابل الصيب من الكلم الطيب ٧٨/١

(٢)أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد فى التخلف عنها ٤٥٣/١ رقم (٦٥٤).

(٣)أخرجه البخارى، كتاب الصلاة/ باب جزاء الذين يتأخرون عن الصفوف الأولى ٣٢٥/١ رقم (٤٣٨).

(٤)أخرجه البخارى ، واللفظ له، كتاب الأذان/ باب فضل العشاء فى الجماعة ١٣٢/١ رقم (٦٥٧)، ومسلم، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ/باب الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة والجمعة ٤٥١/١ رقم(٦٥١).

قال ابن دقيق العيد:"الْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ الْإِيمَانِ عَالِمٌ بِزِيَادَةِ الْأَجْرِ؛ لِزِيَادَةِ الْمَشَقَّةِ ، فَتَكُونُ هَذِهِ الْأُمُورُ دَاعِيَةً لَهُ إِلَى هَذَا الْفِعْلِ، كَمَا كَانَتْ صَارِفَةً لِلْمُنَافِقِين".(١)

ولما كان عظيم الهمة لا يسره إلا أن يكون فى أسمى المنازل، فقد أذكت السنة النبوية روح السباق والمنافسة بأمور، من أهمها:

أولا: أن يتقدم السابق الصفوف قبل غيره ولو زحفا ، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ(٢) لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا".(٣)

فى الحديث حث على السباق فى التبكير إلى المساجد، وانتظار الصلوات، والتقدم فى الصفوف الأولى ولو أن يقترع مع منافسيه بموضع قدم له فى هذه الأعمال (٤).

قال ابن رجب:"لو يعلمون ما فيهما من الفضل والثواب، ثم لم يجدوا الوصول اليهما إلا بالاستهام عليهما لاستهموا عليهما تنافساً فيهما، ومشاحة في تحصيل فضلهما وأجرهما".(٥)

---

(١)إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام١/١٩٣

(٢)قال ابن الأثير:" التَّهْجِيرُ: التَّبْكِيرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، والمُبادَرَة إِلَيْهِ، يُقَالُ: هَجَّرَ يُهَجِّرُ تَهْجِيراً، فَهُوَ مُهَجِّرٌ، وَهِيَ لُغَةٌ حجازِيَّة، أرادَ المبادَرة إِلَى أوَّلِ وَقْتِ الصَّلَاة ".النهاية فى غريب الحديث والأثر ٥/٢٤٦

(٣)أخرجه البخارى، واللفظ له، كتاب الأذان/ باب الاستهام فى الأذان ١/١٢٦ رقم (٦١٥)، ومسلم، كِتَاب الصَّلَاة/باب فضل النداء، والصف الأول، والتبكير، وصلاة العتمة والصبح ١/٣٢٥ رقم(٤٣٧).

(٤)بتصرف نيل الأوطار ١/٢٩٦

(٥)فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/٢٨٦

وبينت السنة أن الأجور متفاوتة بحسب الأسبقية، وساق النبىﷺ فى ذلك مثلا بمسألة التبكير إلى صلاة الجمعة ، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﷛ أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ قَالَ: "مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ"(١)، وجاء من رواية أبى أمامة﷛ عند الإمام أحمد قال أبوغالب:" قُلْتُ يَا أَبَا أُمَامَةَ﷛ لَيْسَ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَ خُرُوجِ الْإِمَامِ جُمُعَةٌ؟ ، قَالَ﷛: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِمَّنْ يُكْتَبُ فِي الصُّحُف".(٢)

قلت: دل النص أن المتأخر عن السباق متخلف عن إيراد اسمه فى صحف المتنافسين المبكرين.

ولم يقتصر التنافس عند حد العبادة ؛ بل أذكت السنة النبوية المشاعر إلى مضمار التنافس فى مكارم الأخلاق، ومنها السبق إلى الصفح، وترك الجفاء، روى الشيخان عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ﷛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ:"لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ ".(٣)

(١)أخرجه البخارى، كتاب الجمعة/باب فضل الجمعة ٣/٢ رقم(٨٨١) ،ومسلم، كتاب الجمعة/باب الطيب، والسواك يوم الجمعة ٥٨٢/٢ رقم(٨٥٠).

(٢)أخرجه أحمد فى مسنده ٦٠٢/٣٦ رقم(٢٢٢٦٨)،وقال الأرنؤوط:"إسناد حسن في المتابعات والشواهد من أجل أبي غالب البصري ".

(٣)أخرجه البخارى، كتاب الأدب/باب الهجرة ٢١/٨ رقم(٦٠٧٧) ،ومسلم، كتاب البر، والصلة، والآداب/باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعى ١٩٨٤/٤ رقم(٢٥٦٠).

قال الباجى:" قوله وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ أَكْثَرُ ثَوَابًا؛ لِأَنَّهُ الَّذِي يَبْدَأُ بِالْمُوَاصَلَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا، وَتَرْكِ الْمُهَاجَرَةِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا مَعَ أَنَّ الِابْتِدَاءَ بِهَا أَشَدُّ مِنْ الْمُسَاعَدَةِ عَلَيْهَا ".(١)

وفى مجال العلم كان السباق عظيما ، ينطلق ابن عباسﷺ فى همة عالية ينافس فى تحصيل العلم، والنبوغ فيه، فشق غباره عن ذاك الأنصارى الذى أراده أن يقاسمه ذات الهمة حتى سابقه ، روى الحاكم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍﷺ، قَالَ:"لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ:هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ"، فَقَالَ:وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ،أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ فِيهِمْ، قَالَ:فَتَرَكْتُ ذَاكَ، وَأَقْبَلْتُ أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنْ كَانَ يَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ، يَسْفِي الرِّيحُ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ، فَيَخْرُجُ، فَيَرَانِي،فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟، فَأَقُولُ:لَا،أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ، قَالَ: فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى رَآنِي وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلِي يَسْأَلُونِي،فَيَقُولُ:هَذَا الْفَتَى كَانَ أَعْقَلَ مِنِّي".(٢)

ثانيا: تزكية النفس بالاستكثار من الفضائل وصالح الأعمال: إن مما ينبغى الاعتناء به فى باب المنافسة أن يستكثر صاحب الهمة العالية من الطاعات، وأعمال البر ، ووجوه الإحسان، وغيرها من كمالات القرب ، ولا ريب أن التفاوت فى ذلك مرجعه إلى تفاوت الهمم فى الغايات، مصداق هذا ما رواه البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ ﷻ

(١)المنتقى شرح الموطأ ٢١٥/٧

(٢)أخرجه الحاكم فى المستدرك،كتاب العلم١٨٨/١رقم(٣٦٣)،وقال:"صحيح على شرط البخارى"،ووافقه الذهبى.

قَالَ:وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ".(١)

من الحديث يتضح أن السبق إلى محبة اللهﷻ يحتاج من ذوى الهمم إلى الإسراع فى الخطوات ، والإسراع إكثار.

يطبق هذا المعنى عمليا أبى بن كعبﷺ حيث انقلبت مرامى همته إلى التعلق بالصلاة على النبىﷺ فألهب همته بها كل وقته ، روى الترمذى عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍﷺ قَالَ:" يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟، فَقَالَﷺ: مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَﷺ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ،، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَﷺ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَﷺ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَﷺ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ".(٢)

قال ابن علان:" فى الحقيقة لم يفت بذلك الصرف شيء على المصلي، بل حصل له بتعرضه بذلك الثناء الأعظم أفضل ما كان يدعو به لنفسه، وحصل له مع ذلك صلاة الله وملائكته عليه، مع ما انضم لذلك من الثواب،فأيّ فوائد أعظم من هذه الفوائد، ومتى يظفر المتعبد بمثلها فضلا عن أنفس منها، وأنى يوازي دعاؤه لنفسه واحدة من تلك الفضائل التي ليس لها مماثل ببركته".(٣)

وفى مجال العلم جعلت السنة العطرة التسابق إلى القرآن قراءة، وحفظا، وتعلما، وتعليما من أعظم المراتب، وأرفع المناقب ،روى مسلم عنْ

---

(١)أخرجه البخارى، كتاب الرقاق/باب التواضع ١٠٥/٨ رقم(٦٥٠٢).

(٢)أخرجه الترمذى ، كتاب صفة يوم القيامة، والرقائق، والزهد ٦٣٦/٤ ، ٦٣٧ رقم(٢٤٥٧)،وقال:"حديث حسن".

(٣)ينظر بتصرف دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٧/٥ ، ١٨

عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ ﷺ: "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ(١)، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ(٢)، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ(٣) فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ".(٤)

وإنما جعلت قراءة القرآن أعظم من الإبل؛ لأنها تنفع فى الدنيا والآخرة نفعا عظيما، بخلاف النوق(٥) ،روى البخارى عَنْ عُثْمَانَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"(٦) ، ومن فضائل حملته ومبلغيه أيضا أن أطلقت السنة على الحاذق فى حفظه ، والمتقن فى قراءته، والمكثر لتلاوته لقب "الماهر"، روى الشيخان عَنْ عَائِشَةَ- رضى الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ".(٧)

---

(١)بطحان:"واد بالمدينة المنورة يأتى من الحرة الشرقية قرب المسجد النبوى الشريف حتى يلتقى مع العقيق شمال الجمَّادات". أطلس الحديث النبوى ص٧٠

(٢)العقيق:"للمدينة المنورة عقيقان،الأكبر ما يلى الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل،ويمتد صعدا إلى منتهى البقيع،والأصغر ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهى العَرَصَة". المصدر السابق ص٢٧٣

(٣)قال ابن الأثير:""كوماوين مشرفة السنام، عاليته". النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢١١/٤

(٤)أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب فضل قراءة القرآن فى الصلاة وتعلمه ٥٥٢/١ رقم(٨٠٣).

(٥)ينظر مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٧٣/٧

(٦)أخرجه البخارى، كتاب فضائل القرآن/باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٩٢/٦ رقم(٥٠٢٧).

(٧)أخرجه البخارى، كتاب تفسير القرآن/باب سورة عبس ١٦٦/٦ رقم(٤٩٣٧)،ومسلم، =

وَبلغ من عظيم الفضل تقديم من كان أكثر مزاحمة للقرآن فى اللحد على غيره ، روى البخارى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِﷺ قَالَ:" كَانَ النَّبِيُّﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْد". (١)

ثالثا: تزكية النفس بمزاحمتها فى جميع الأعمال :

إن صاحب الهمة عليه أن ينغمس فى كل موطن من مواطن الطاعات والبر؛ فإنه لا يدرى من أين تأتيه آثار الجلال والجمال، وحسبك بعلو همة الصِدِّيق ﷺ ، كان ينفذ إلى كل طاعة بسهم ، تاركا فى كل عمل بصمة ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ:"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍﷺ: أَنَا، قَالَﷺ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍﷺ: أَنَا، قَالَﷺ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍﷺ: أَنَا، قَالَﷺ : فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍﷺ : أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ".(٢)

قال ابن القيم:" تنوعت لذات أهل الجنة وآلام أهل النار، وتنوع ما فيهما من الطيبات والعقوبات، فليست لذة من ضرب في كل مرضاة الله بسهم ، وأخذ منها بنصيب كلذة من أنمى سهمه ونصيبه في نوع واحد منها، ولا ألم من ضرب في كل مسخوط لله بنصيب وعقوبته كألم من ضرب بسهم واحد في مساخطه ".(٣)

=

واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب فضل قراءة القرآن فى الصلاة وتعلمه ٥٤٩/١ رقم(٧٩٨).

(١)أخرجه البخارى، كتاب الجنائز/باب الصلاة على الشهيد ٩١/٢ رقم(١٣٤٣).

(٢)أخرجه مسلم، كتاب الزكاة/باب من جمع الصدقة وأعمال البر ٧١٣/٢ (١٠٢٨).

(٣)اجتماع الجيوش الإسلامية ٨٣/٢ ، ٨٤

وهؤلاء فقراء الصحابة العاملين طرقوا كل أبواب الخير يتنافسون فيه، فلم يوصد لهم باب إلا باب الصدقة ، استحوذ عليه الأثرياء ، يزاحمونهم فيه، فَسَموا عليهم فى هذا الباب ، فشكوا ذلك إلى النبىﷺ ، فطمأنهم أنهم بفضول الذكر، وغمرهم لغيرهم بالمعروف يحوزون السبق.

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ:" أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ[١] بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ ، قَالَﷺ: " أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟، قَالَﷺ:أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ".[٢]

والعجب أن الأغنياء لما بلغهم هذا الخبر تراغبوا فى الاشتغال بالذكر يسابقون فيه الفقراء كما فى خبر أبى هريرة ﷺعند الإمام مسلم من طريق أبى صالح عنه ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: "فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِﷺ ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا ، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِﷺ: ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ".[٣]

---

(١)قال ابن الأثير:"الدثور: جمع دثر، وهو المال الكثير".النهاية فى غريب الحديث والأثر ١٠٠/٢

(٢)أخرجه مسلم، كتاب الزكاة/باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٧/٢ (١٠٠٦).

(٣)أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته٤١٦/١ (٥٩٥).

قال ابن رجب:" الحديث دليل على أن الصحابةﷺ لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير، كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم، فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد؛ لعدم القدرة على آلته".(١)

رابعا: تزكية النفس بالتنافس فى إحراز السبق، ونيل المكرمات.

يدفع التنافس صاحبه إلى أن يحوز فضيلة ، أو يكتسب منقبة شامخة ؛ ليس لأن يزهو بها بين أقرانه ، وإنما ليجعل قيمته مضاعفة ، يدرك الصحابى عكاشة بن محصن الأسدىﷺ أن الفضل لمن سبق ، يتلقف من فيِّ النبىﷺ أمنية بشر بها أصحابهﷺ ، فيسبقهم إلى اقتناص دعوة من النبىﷺ عسى أن يكون له منها حظ ، روى الشيخان عن أَبى هُرَيْرَةَﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ يَقُولُ:"يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِﷺ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ:ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةَ".(٢)

قال القارى:" قوله: ادع الله أن يجعلني منهم، ما أحسن هذا السؤال المشير إلى أنه من أصحاب الكمال؛ بل من أرباب الوصال، علم أنه لم يصل إلى هذا المقال إلا بوسيلة دعائه ﷺمن ذي الجلال والجمال، والظاهر

---

(١)جامع العلوم والحكم ٥٦/٢ ، ٥٧

(٢)أخرجه البخارى، كتاب الرقاق/باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ١١٣/٨ رقم(٦٥٤٢)،ومسلم، كتاب الإيمان/ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، ولا عذاب ١٩٧/١ رقم(٢١٦).

أن الأول كان ناويا قاصدا للقيام بأفعالهم، بل متصفا بأحوالهم، والثاني طلبه على وجه التمني من غير التعني، وطريق التقليد في التحلي من غير قصد التجلي".(١)

وأبو هريرةﷺ أراد أن يظفر بميزة عن غيره ، فكان فى وضوئه يسابقهم إلى إطالة الغرة (٢)،روى مسلم عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ:"كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الْوُضُوءُ؟، فَقَالَ: يَا بَنِي فَرُّوخَ، أَنْتُمْ هَاهُنَا؟، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَاهُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ،سَمِعْتُ خَلِيلِيﷺ يَقُولُ: تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ".(٣)

وهذا زيد بن ثابتﷺ أراد أن يظفر بثقة النبىﷺ حين أرادﷺ واحدا يتولى مهمة قراءة وترجمة لغة اليهود بدلا من الاعتماد عليهم فى ذلك، فانطلق يتعلم السريانية فى مدة وجيزة، وتميز فيها ؛ ليكون المترجم الأول للنبىﷺ ، وأمين سر مراسلاته بينه وبين اليهود ، روى الترمذى عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ:" أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ، قَالَﷺ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ، قَالَﷺ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى

---

(١)ينظر بتصرف مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٣١٦/٨

(٢)اختلف العلماء فى إطالة الغرة والتحجيل فذهب المالكية، وابن بطال،وابن القيم إلى أنه لا يندب، وذهب الجمهور من الأحناف ، والشافعية ، والحنابلة إلى الندب، وقد انتصر لهم الحافظ ابن حجر، ورد على ابن بطال والمالكية،وللرجوع إلى المسألة ينظر الدر المختار ١٣٠/١ ،والمجموع شرح المهذب ٤٢٧/١ ،ومختصر خليل ٢٠/١،والكافى فى فقه الإمام أحمد ٦٩/١ ،وحادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ٢٠١/١ ،وفتح البارى٢٣٦/١، ٢٣٧

(٣)أخرجه مسلم، كتاب الطهارة/باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء ٢١٩/١ رقم(٢٥٠).

تَعَلَّمْتُهُ لَهُ، قَالَ ﷺ:فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ".(١)

قلت: هذه الأحاديث وغيرها مما تحث على استنهاض الهمم إلى التنافس، ونفض الضعف عن النفوس لا تتعارض مع ما رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ...الحديث "(٢)، لا يفهم من الرواية ضعف الهمة، ولين العزيمة؛ فإن كلّ يتلقى البشارة على قدر همته، فذو الهمة العالية يحصلها بالتنافس،ويطلب ما ورائها من الحياة الطيبة، وساقط الهمة ، الراضى بالدون أضعف طلبا ومحبة لها.

قال القارى:"الْعَوَامَّ إِذَا بُشِّرُوا يَتْرُكُونَ الْعَمَلَ، بِخِلَافِ الْخَوَاصِّ إِذَا بُشِّرُوا يَزِيدُونَ فِي الْعَمَل ".(٣)

قلت: من هذه الزاوية نفقه سر تندم ابن عمر ﷺ على تفريطه لسنة من سنن النبوة جاوزها عن غير معرفة ، روى مسلم من طريق سعد بن أبى وقاص ﷺ:"أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، إِذْ طَلَعَ خَبَّابٌ صَاحِبُ

(١)أخرجه الترمذى، كتاب الاستئذان والآداب/باب ما جاء فى تعليم السريانية ٥/٦٧ ، ٦٨ رقم(٢٧١٥)، وقال:حديث حسن صحيح"، وقد أخرجه البخارى معلقا فى الصحيح بصيغة الجزم عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه،كتاب الأحكام/باب ترجمة الحكام،وهل يجوز تَرجُمان واحد؟ ٩/٧٦ رقم(٧١٩٥)، ووصله البخارى فى التاريخ الكبير(٣/٣٨٠ ، ٣٨١) من طريق شيخه إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد قال: أتى بي النبيﷺ مقدمة المدينة،فأعجب بي...الحديث.

(٢)أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان/بَاب مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّار ١/٥٩ ، ٦٠ رقم(٣١).

(٣)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/١١٤

الْمَقْصُورَةِ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا، وَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْرٍ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ ؟ ، فَأَرْسَلَ ابْنُ عُمَرَ خَبَّابًا إِلَى عَائِشَةَ- رضى الله عنها- يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فَيُخْبِرُهُ مَا قَالَتْ ، وَأَخَذَ ابْنُ عُمَرَ قَبْضَةً مِنْ حَصَى الْمَسْجِدِ يُقَلِّبُهَا فِي يَدِهِ، حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ، فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ-رضى الله عنها-: صَدَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَضَرَبَ ابْنُ عُمَرَ بِالْحَصَى الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ:لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَة".(١)

قَالَ عَوْن بْن عَبْد اللهِ:"مِنْ تَمَامِ التَّقْوَى أَنْ تَبْتَغِيَ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنْهَا عِلْمَ مَا لَا تَعْلَمْ، وَإِنَّ النَّقْصَ فِيمَا قَدْ عَلِمْتَ تَرْكُ ابْتِغَاءِ الزِّيَادَةِ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَحْمِلُ الرَّجُلَ عَلَى تَرْكِ ابْتِغَاءِ الزِّيَادَةِ فِيهِ قِلَّةُ الِانْتِفَاعِ بِمَا قَدْ عَلِمَ".(٢)

نخلص من هذا أن صاحب الهمة ينبغى أن تنغرس فيه عمق المنافسة إلى دار القرار بتحرى الأعمال الصالحة ، والتقلب فى فنونها ، ودوام ملابستها ، والتفانى فيها بإخلاص.

---

(١)أخرجه مسلم، كتاب الجنائز/باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٦٥٣/٢ (٩٤٥).

(٢)حلية الأولياء ٢٤٦/٤

الخاتمة والنتائج

بعد أن عشت زمنا يسيرا – من أجمل أوقات عمرى-، تعرفت فيه على جملة من الأحاديث النبوية فى علو الهمة ، وتمتعت فيه البصيرة قبل البصر بنماذج عملية من ذوى المقامات العلية ، فإنه من المفيد أن أذكر أهم ما وصلت إليه فى هذا البحث من نتائج ، وأهم هذه النتائج:

١- إن هذه الدراسة الموضوعية منضمة إلى ما سبقتها من دراسات جليلة فى هذا الموضوع كشفت عن عظمة السنة النبوية وشمولها ، فأبانت أن علو الهمة يجرى مجرى الدم من كل جوانب الإسلام عقيدة، ومنهجا، وسلوكا.

٢- إن الهمة أمر فطرى أودعه الله ﷻ فى الإنسان، وأن صرفها إلى العلو أو الدنو أمر كسبى.

٣- إن علو الهمة لا يوفق له إلا من اتسم بصدق الافتقار، ونعت الانكسار، وامتطاء الفضائل، وإيثار محبة الله ﷻ عند غلبات الهوى على محاب النفس.

٤- إن معالى الأمور لا تدرك بالتمنى، أو الركون إلى الراحة ، وإنما بالاستعداد، ومراعاة جانب التخلية والتحلية معا، مع الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية فى ذلك .

٥- إن الصحابة الكرام ﷺ لم يقفوا عند مجرد الأداء، وإنما ارتقوا بهمم عالية إلى آفاق أرحب، ومستويات عليا فى شتى مجالات معالى الأمور، فقدموا أنموذجا رائعا لمن بعدهم فى علو الهمم، وإبراز حقيقة الإسلام، وجوهر الدين.

٦- تبين من خلال البحث أن أصحاب الهمم من الصحابة ﷺ كانوا حريصين علي الوقوف عليها إما بسؤال النبى ﷺ عنها، أو أنها كانت ذاتية ، مكنونة فيهم ، تابعة لكمال المحبة.

٧- إن الدوافع الموجدة لعلو الهمة متكاملة، ومترابطة بعضها بعضا ، وبفقدان أحدها، أو بعضها يكون الكسل، والفشل ومن ثم سوء المصير.

٨- إن أرباب الهمم العالية يوازنون بين تحصيل الكسب الدنيوى وتحصيل مصالح الآخرة ، فلا يطغى عندهم جانب على آخر، يأخذون من مصالح الدنيا باقتصاد، مع استصحاب صدق النية؛ ليؤجروا عليها ، وأما مصالح الآخرة فيسعون، تواقين لها بعزم وجد.

٩- إن وقود الهمم، ومحرك الطاقات لنيل المعالى هو المنافسة، والطموح إلى أسمى المنازل، وأرفع الدرجات.

١٠- إن علو الهمة لا يقصد من ورائه الشقة والعنت، وإنما غرس التصبر ليصير ملكة راسخة، وسجية دائبة فى نفوس أرباب الهمم.

١١- إن لعلو الهمة أثر فى تحسين الشخصية عند أربابها ، تكسبه سمات فريدة منها الإيجابية، والعزيمة، وثقة النفس، والإبداع، والسباق إلى الريادة ، والتميز فى الدنيا والآخرة.

١٢- تبين من خلال البحث أنه لا مجال للمسوغات، واختلاق المعاذير، والتعلل بالدواه للهروب من تحصيل معالى الأمور، فذلك مما يحبط المعنويات ، ويقتل التنافس، ويغلق أبواب التميز.

١٣- إن معالى الأمور ومهماتها تقاس بميزان الهمة والعزيمة، وليس بميزان البلوغ والوصول.

١٤- إن العزائم لا يضطرب فى تحقيقها إلا الضعفاء ممن ليس لهم جلَد، ولا هدف .

١٥- إن التفاوت فى المنازل والرتب مرده إلى التفاوت فى الأخذ بأساليب علو الهمة قوة وضعفا.

١٦- إن بواعث العبودية إما محبة إنعام وإحسان ، وإما محبة كمال وجمال ، وأقواها ما تعلقت المحبة بذاته تعالى وأوصافه ، وقد تبين من البحث أن الهمم العالية تسبح فى فلك المحبة المرتبطة بكمالات الله تعالى، وأن هذا النوال العظيم لا يمكن قط أن يكون له عوض، أو بديل عند أرباب هذه الهمم ولو كانت الدنيا بأجمعها.

وأما التوصيات:

يوصى الباحث بتعزيز الوعى الدينى فى مناهج المسلمين الدراسية من خلال الإفادة من الأحاديث النبوية التى تحث على علو الهمة ؛ ليساهم ذلك فى إعداد جيل يملك الإرادة القوية، والدافعية الإيجابية إلى النجاح، والتميز فى الدنيا والآخرة.

كما يوصى بعمل دراسة موضوعية حول "علو الهمة" فى كل مجال من مجالات معالى الأمور على حدة ؛ ليكون على وجه الخصوص غنيمة لمن أراد الآخرة وسعى لها.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- اجتماع الجيوش الإسلامية لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ،تحقيق: عواد عبد الله المعتق،الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض،الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما لضياء الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ، دراسة وتحقيق:دكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش،الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان،الطبعة:الثالثة سنة ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لأبى حاتم محمد بن حبان بن أحمد الدارمي،البُستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ،ترتيب:علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ، تحقيق:شعيب الأرنؤوط،الناشر:مؤسسة الرسالة– بيروت،الطبعة:الأولى سنة ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨ م.

٤- إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لمحمد بن على بن وهب ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ، الناشر: مطبعة السنة المحمدية.

٥- إحياء علوم الدين لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي، الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥هـ،الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٦- آداب النفوس لأبى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى سنة ٢٤٣هـ،تحقيق: عبد القادر أحمد عطا،الناشر: دار الجيل – لبنان.

٧- أدب الطلب ومنتهى الأدب لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، اليمني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ،تحقق: عبد الله يحيى السريحي، الناشر: دار ابن حزم – لبنان، الطبعة: الأولى سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٨- الأشباه والنظائر لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ،الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت،الطبعة:الأولى سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٩- الإصابة في تمييز الصحابة لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

١٠- أطلس الحديث النبوى من الكتب الصحاح الستة للدكتور شوقى أبو خليل ،الناشر:دار الفكر-دمشق، الطبعة:الرابعة سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١١- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار لأبى بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، البخاري المتوفى سنة ٣٨٠هـ،تحقيق: محمد حسن إسماعيل ، وأحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس لأبى الفيض مرتضى محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ،الناشر: دار الهداية.

١٣- التاريخ الأوسط لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ،تحقيق: محمود إبراهيم زايد،الناشر: دار الوعي - حلب ، الطبعة: الأولى سنة ١٣٩٧ هـ- ١٩٧٧م.

١٤- التاريخ الكبير للبخارى المتوفى سنة ٢٥٦ه، طبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

١٥- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة ١٩٨٤ هـ.

١٦- التذكرة الحمدونية لأبى المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي المتوفى سنة ٥٦٢هـ،الناشر: دار صادر- بيروت الطبعة: الأولى سنة ١٤١٧ هـ.
١٧- التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف لعلي علي صبح،الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث-مصر،الطبعة: الأولى: سنة ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.
١٨- تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي المتوفى سنة ٢٩٤هـ،تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي،الناشر:مكتبة الدار- المدينة المنورة،الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٦هـ.
١٩- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ،تحقيق: محمد عوامة،الناشر: دار الرشيد – سوريا،الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
٢٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري ، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب سنة ١٣٨٧ هـ.
٢١- التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم لمجدي الهلالي،الناشر: دار السراج،الطبعة: الأولى سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٢٢- تهذيب الأخلاق لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى، الليثى ،المشهور بالجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ،تعليق:أبو حذيفة إبراهيم بن محمد،الناشر: دار الصحابة للتراث – طنطا- مصر،الطبعة: الأولى سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٢٣- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى سنة ١٣٢٦هـ.
٢٤- التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ، المناوي، القاهري المتوفى

سنة ١٠٣١هـ،الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي، الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥هـ،تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس،الناشر:مؤسسة الرسالة- بيروت،الطبعة:السابعة سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري للبخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد زهير الناصر،الناشر: دار طوق النجاة –مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الأولى سنة ١٤٢٢هـ.

٢٧- جمهرة اللغة لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١هـ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي،الناشر: دار العلم للملايين – بيروت،الطبعة: الأولى سنة ١٩٨٧م.

٢٨- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ،الناشر: مطبعة المدني- القاهرة.

٢٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني المتوفى سنو ٤٣٠هـ،الناشر: السعادة – مصر سنة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٣٠- خلاصة الأحكام فى مهمات السنن وقواعد الإسلام لأبى زكريا محى الدين يحيى بن شرف بن مرى النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ ، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل ،الناشر:مؤسسة الرسالة- بيروت،الطبعة:الأولى سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٣١- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري، الصديقي المتوفى سنة ١٠٥٧هـ،عناية: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة: الرابعة سنة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٣٢- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد خليفة القلموني، الحسيني المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م.

٣٣- رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار المعروف بحاشية ابن عابدين لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، الحنفي المتوفى سنة ١٢٥٢هـ،الناشر: دار الفكر- بيروت،الطبعة: الثانية سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٤- الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المتوفى سنة ٤٦٥هـ،تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف- القاهرة.

٣٥- الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى المتوفى سنة ٩٠٠هـ،تحقيق:إحسان عباس،الناشر:مؤسسة ناصر للثقافة-بيروت،الطبعة:الثانية سنة ١٩٨٠ م.

٣٦- سبل السلام لعز الدين محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ، الصنعاني، المعروف بالأمير المتوفى سنة ١١٨٢هـ،الناشر: دار الحديث.

٣٧- سنن أبي داود لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي، السِّجِسْتاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر: المكتبة العصرية- بيروت.

٣٨- سنن ابن ماجه لأبى عبد الله محمد بن ماجه القزويني، المتوفى سنة ٢٧٣هـ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: فيصل عيسى البابي الحلبي-مصر.

٣٩- سنن الترمذي لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ، تحقيق:أحمد محمد شاكر(جـ ١، ٢)،ومحمد فؤاد عبد الباقي(جـ ٣)، وإبراهيم عوض(جـ ٤،٥)،الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر،الطبعة:الثانية سنة ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م.

٤٠- السنن الكبرى لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ،تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،الطبعة: الأولى سنة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٤١- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ، الناشر: مؤسسة الريان،الطبعة: السادسة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٢- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري المتوفى سنة ١١٢٢هـ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
٤٣- شرح صحيح البخارى لعلي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال المتوفى سنة ٤٤٩هـ،تحقيق: ياسر بن إبراهيم،الناشر: مكتبة الرشد- السعودية، الطبعة:الثانية سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٤٤- الشمائل الشريفة للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ،تحقيق: حسن بن عبيد باحبيشي،الناشر: دار طائر العلم للنشر والتوزيع .
٤٥- صيد الخاطر لجمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ،عناية:حسن سويدان،الناشر: دار القلم- دمشق،الطبعة:الأولى سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٤٦- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ،الناشر: دار ابن كثير- دمشق، الطبعة: الثالثة سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٤٧- العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، البصري المتوفى سنة ١٧٠هـ،تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٤٨- غريب الحديث لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ،تحقيق:د عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٩- غريب الحديث لأبى سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى، البستي المتوفى سنة ٣٨٨هـ،تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر-بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٠- غريب الحديث لأبى عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، البغدادي المتوفى سنة ٢٢٤هـ،تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان،الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن،الطبعة: الأولى سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥١- الفائق في غريب الحديث والأثر لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ،تحقيق: علي محمد البجاوي ،ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية.

٥٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥هـ، تحقيق:مجموعة من العلماء،الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية،الطبعة:الأولى سنة ١٤١٧ هـ.

٥٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، تخريج وتصحيح: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت سنة ١٣٧٩هـ.

٥٤- الفروق اللغوية لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري المتوفى سنة نحو ٣٩٥هـ،تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع- مصر.

٥٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى سنة ١٣٥٦هـ.
٥٦- قواعد الأحكام في مصالح الأنام لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، المتوفى سنة ٦٦٠هـ،تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد،الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
٥٧- الكافي في فقه الإمام أحمد لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، الدمشقي، الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٠هـ،الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت ،الطبعة: الأولى سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٥٨- اللمع لعبد الله بن على بن يحيى السراج الطوسى المتوفى سنة ٣٧٨هـ ، تحقيق:د عبد الحليم محمود،وطه سرور،الناشر:دار الكتب الحديثة–مصر سنة ١٣٨٠هـ ـ١٩٦٠م.
٥٩- المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي للنووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ ،الناشر: دار الفكر–بيروت.
٦٠- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى سنة ٦٦٦هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد،الناشر:المكتبة العصرية–بيروت،الطبعة:الخامسة سنة١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٦١- مختصر العلامة خليل لخليل بن إسحاق بن موسى الجندي، المالكي، المتوفى سنة ٧٧٦هـ، تحقيق:أحمد جاد،الناشر:دار الحديث–القاهرة،الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٦٢- مختصر منهاج القاصدين لأبى العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٨٩هـ ،تقديم:محمد دهمان،الناشر:مكتبة دار البيان–دمشق سنة ١٣٩٨هـ .١٩٧٨م.

٦٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ،تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٦٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لنور الدين علي بن محمد الملا الهروي، القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ ، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦٥- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله الرحماني، المباركفوري المتوفى سنة ١٤١٤هـ، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٦٦- مستخرج أبي عوانة لأبى عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني المتوفى سنة ٣١٦هـ،تحقيق: أيمن عارف الدمشقي،الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٧- المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم الضبي، الطهماني، النيسابوري، المعروف بابن البيع المتوفى سنة ٤٠٥هـ،تحقيق: مصطفى عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى سنة ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٦٨- المسند لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله التركي،الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت ،الطبعة: الأولى سنة١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ لأبى الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧٠- معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق بن أحمد بن محمد الكاشانى المتوفى سنة ٧٣٠هـ،تحقيق:عبد العال شاهين،الناشر:دار المنار- القاهرة،الطبعة:الأولى سنة ١٤١٣هـ .

٧١- معجم البلدان لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثانية سنة ١٩٩٥م.

٧٢- المعجم الوسيط من تأليف مجمع اللغة العربية بالقاهرة،الناشر: دار الدعوة.

٧٣- معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفنى ، الناشر:دار الميسرة- بيروت ، الطبعة:الثانية سنة ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م.

٧٤- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ه،تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة،الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ،الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٤ه – ٢٠٠٤م.

٧٥- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، الرازي المتوفى سنة ٣٩٥ه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر سنة ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.

٧٦- المنتقى شرح الموطإ لأبى الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي، الباجي، الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٤ه،الناشر: مطبعة السعادة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ ه.

٧٧- منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى تحفة الباري لأبى يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، السنيكي، المصري، الشافعي المتوفى سنة ٩٢٦ هـ، تحقيق: سليمان العازمي، الناشر:مكتبة الرشد للنشر والتوزيع –السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م.

٧٨- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ،مطبوع بهامش إحياء علوم الدين، لعبد الرحيم بن الحسين بن

عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ،الناشر:دار ابن حزم– لبنان،الطبعة: الأولى سنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٧٩- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبى العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ،تحقيق: محيي الدين ديب ميستو ، وأحمد محمد السيد، ويوسف بديوي ، ومحمود إبراهيم بزال،الناشر:دار ابن كثير– دمشق ،الطبعة: الأولى سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٨٠- المكاييل والموازين الشرعية للأستاذ الدكتور على جمعة محمد ، الناشر:القدس للإعلان والنشر والتسويق،الطبعة:الثانية سنة ١٤٢١هـ .٢٠٠١م.

٨١- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم ،مراجعة: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، تصحيح: بشير عيون،الناشر: مكتبة دار البيان - سوريا،سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٨٢- منازل السائرين لأبى إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري، الهروي المتوفى سنة ٤٨١هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٣- المنثور في القواعد الفقهية لأبى عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ،الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية،الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٤- المنطلق لمحمد أحمد راشد ،الناشر:مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة:الأولى سنة ١٩٧٥م.

٨٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثانية سنة ١٣٩٢هـ.

٨٦- المهذب فى اختصار السنن الكبير لمحمد بن عثمان بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، تحقيق:دار المشكاة للبحث العلمى، الناشر:دار الوطن للنشر–السعودية ، الطبعة:الأولى سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٧- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن الأثير الشيباني ،الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨٨- نيل الأوطار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، اليمني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث- مصر،الطبعة: الأولى سنة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٨٩- الموسوعة الكاملة للإمام محمد الخضر حسين المتوفى سنة ١٣٧٧هـ ، الناشر:دار النوايا-سوريا ،الطبعة:الأولى سنة ١٤٣١هـ.

٩٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، تحقيق: سيد إبراهيم،الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الثالثة سنة ١٩٩٩ م.

faharas almasadir walmarajie

alquran alkarim.

1- aijtimae aljuyush al'iislamiat lishams aldiyn muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed aibn qiam aljawziat almutawafaa sunat 751h,tahqiqu: eawad eabd allah almuetaqi,alnaashir: matabie alfarzadaq altijariat - alriyad,alitabeata: al'uwlaa sanat 1408h - 1988m.

2- al'ahadith almukhtarat 'aw almustakhraj min al'ahadith almukhtarat mimaa lam yukhrijh albukhariu wamuslim fi sahihayhima lidia' aldiyn 'abaa eabd allah muhamad bin eabd alwahid almaqdisi almutawafaa sanatan 643hi, dirasat watahqiqu:duktur eabd almalik bin eabd allah bin dahayish

3- al'iihsan fi taqrib sahih aibn hibaan li'abaa hatim muhamad bin hibaan bin 'ahmad aldarmy,albusty almutawafaa sanat 354hi,tirtibi:eali bin balban alfarisii almutawafaa sanatan 739 ha, tahqiqa:shaeayb al'arnuuwt,alnaashir:muasasat alrisalatu-birutu,altabeata:al'uwlaa sanat 1408 ha- 1988 ma.

4- 'iihkam al'iihkam sharh eumdat al'ahkam limuhamad bin ealaa bin wahab aibn daqiq aleid almutawafaa sunatan 702hi, alnaashir: matbaeat alsanat almuhamadiati.

5- 'iihya' eulum aldiyn li'abaa hamid muhamad bin muhamad alghazalii, altuwsii almutawafaa sanatan 505hi,alnaashir: dar almaerifat - bayrut.

6- adab alnufus li'abaa eabd allah alharith bin 'asad almuhasabi almutawafaa sunatan 243h,tahqiqa: eabd alqadir 'ahmad eata,alnaashar: dar aljil - lubnan.

7- 'adab altalab wamuntahaa al'adab limuhamad bin ealiin bin muhamad bin eabd allah alshuwkani, alyamanii almutawafaa sunatan 1250h,tahaqaqu: eabd allah yahyaa alsarihi,alnaashar: dar aibn hazm - lubnan, altabeata: al'uwlaa sanat 1419h - 1998m.

8- al'ashbah walnazayir lijalal aldiyn eabd alrahman bin 'abi bakr alsuyutiu almutawafaa sanat 911hi,alnaashir: dar alkutub aleilmiati-biruta,altabeata:al'uwlaa sanatan 1411h - 1990m.

9- al'iisabat fi tamyiz alsahabat li'abaa alfadl 'ahmad bin eali bin muhamad bin 'ahmad bin hajar aleasqalani almutawafaa sanat 852h,tahqiqu: eadil 'ahmad eabd

almawjud, waealaa muhamad maeuad,alnaashar: dar alkutub aleilmiat - bayrut, altabeatu: al'uwlaa - 1415 hu.

10- 'atlas alhadith alnabwaa min alkutub alsihah alsitat lilduktur shawqaa 'abu khalil ,alnaashir:dar alfikri-dimashqa, altabeatu:alraabieat sanatan 1426h - 2005m.

11- bahr alfawayid almashhur bimaeani al'akhbar li'abaa bikr muhamad bin 'abi 'iishaq bin 'iibrahim bin yaequb alkilabadhi, albukharii almutawafaa sanat 380h

12- taj alearus min jawahir alqamus li'abaa alfayd murtadaa mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni, alzzabydy almutawafaa sanatan 1205hi,alnaashir: dar alhidayati.

13- altaarikh al'awsat li'abaa eabd allah muhamad bin 'iismaeil bin 'iibrahim bin almughirat albukhariu almutawafaa sunat 256h,tahqiqu: mahmud 'iibrahim zayid,alnaashar: dar alwaey - halab , altabeatu: al'uwlaa sanat 1397 ha-1977m.

14- altaarikh alkabir lilbukharaa almutawafaa sanat 256hu, tabeatu: dayirat almaearif aleuthmaniati, haydar abad - aldukn.

15- altahrir waltanwir "tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid" limuhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnisi almutawafaa sanat 1393hi,alnaashir : aldaar altuwnisiat lilnashr - tunis sanat 1984 hu.

16- altadhkirat alhamduniat li'abaa almaeali muhamad bin alhasan bin muhamad bin eali bin hamdun albaghdadi almutawafaa sanat 562hi,alnaashir: dar sadar- bayrut altabeata: al'uwlaa sanat 1417 hu.

17- altaswir alnabawiu lilqiam alkhuluqiat waltashrieiat fi alhadith alsharif lieali eali subh

18- taezim qadr alsalaat limuhamad bin nasr bin alhajaaj almarwazi almutawafaa sunatan 294h,tahqiqu: da. eabd alrahman alfirywayiy,alnaashur:maktabat aldaari-almadinat almunawaratu,altabeata: al'uwlaa sanat 1406h.

19- taqrib altahdhib liabn hajar aleasqalanii almutawafaa sunatan 852hi,tahqiqu: muhamad eawaamatu,alnaashir: dar alrashid - surya,alitabeatu: al'uwlaa sanat 1406 h - 1986m.

20- altamhid lima fi almuataa min almaeani wal'asanid li'abaa eumar yusif bin eabd allh bin muhamad bin eabd albiri alnamirii alqurtubii almutawafaa sanatan 463h

21- altawazun altarbawiu wa'ahamiyatuh likuli muslim limajdi alhilali,alnaashir: dar alsiraji,alitabeati: al'uwlaa sanat 1430 hi - 2009 ma.
22- tahdhib al'akhlaq li'abaa euthman eamriw bin bahr bin mahbub alkunanaa, alliyathaa ,almashhur bialjahiz almutawafaa sunatan 255hi,taeliqi:abu hudhayfat 'iibrahim bin muhamad,alnaashar: dar alsahabat lilturath - tanta- masar,alitabeata: al'uwlaa sanat 1410h - 1989m.
23- tahdhib altahdhib liabn hajar aleasqalani almutawafaa sunatan 852hi, alnaashir: matbaeat dayirat almaearif alnizamiati, alhinda, altabeati: al'uwlaa sanat 1326h.
24- altaysir bisharh aljamie alsaghir lizayn aldiyn muhamad eabd alrawuwf bin taj alearifin bin eali bin zayn aleabidin alhadaadi , almanawi, alqahirii almutawafaa sanatan 1031hi,alnaashir: maktabat al'iimam alshaafieii - alrayad, altabeatu: althaalithat sanatan 1408h - 1988m.
25- jamie aleulum walhukm fi sharh khamsin hadithan min jawamie alkalm lieabd alrahman bin 'ahmad bin rajab bin alhasan alsalamy, alhanbali almutawafaa sunatan 795h,tahqiqu: shueayb al'arnawuwt wa'iibrahim bajis,alnaashir:muasasat alrisalatu-bayrutu,altabeatu:alsaabieat sanatan 1422h - 2001m.
26- aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allahir wasunanih wa'ayaamuh = sahih albukharii lilbukharaa almutawafaa sanat 256hi, tahqiqu: muhamad zuhayr alnaasir,alnaashar: dar tawq alnajaat -msawarat ean alsultaniat bi'iidafat tarqim muhamad fuad eabd albaqi, al'uwlaa sanat 1422h.
27- jamharat allughat li'abaa bikr muhamad bin alhasan bin durayd al'azdii almutawafaa sanatan 321hi, tahqiqu: ramziun munir baelabaki,alnaashar: dar aleilm lilmalayin - bayrutu,altabeata: al'uwlaa sanat 1987m.
28- hadi al'arwah 'iilaa bilad al'afrah liabn qiam aljawziat almutawafaa sanat 751h.
29- hilyat al'awlia' watabaqat al'asfia' li'abaa naeim 'ahmad bin eabd allah bin 'ahmad bin 'iishaq al'asbihani almutawafaa sinu 430hi,alnaashir: alsaeadat - misr sanatan 1394h - 1974m.
30- khulasat al'ahkam faa muhimaat alsunan waqawaeid al'iislam li'abaa zakariaa mahaa aldiyn yahyaa bin sharaf bin maraa alnuwwaa almutawafaa sunatan 676h , tahqiqu:hisin 'iismaeil aljamal ,alnaashir:muasasat

alrisalatu- bayrutu,altabeata:al'uwlaa sanat 1418h - 1997m.

31- dalil alfalhin lituruq riad alsaalihin limuhamad ealiin bin muhamad bin ealan bin 'iibrahim albakri,

32- tafsir alquran alhakim (tafsir almanar) limuhamad rashid bin eali rida bin muhamad khalifat alqalmuni, alhusaynii almutawafaa sanat 1354hi,alnaashir: alhayyat almisriat aleamat lilkitab sanat 1990 ma.

33- radu almuhtar ealaa aldur almukhtar fi sharh tanwir al'absar almaeruf bihashiat aibn eabidin limuhamad 'amin bin eumar bin eabd aleaziz eabidin aldimashqi, alhanafii almutawafaa sanatan 1252hi,alnaashir: dar alfikr-birut,alitabeata: althaaniat sanatan 1412h - 1992m.

34- alrisalat alqushayriat lieabd alkarim bin hawazin bin eabd almalik alqushayrii almutawafaa sanat 465h

35- alrawd almietar fi khabar al'aqtar limuhamad bin eabd allah bin eabd almuneim alhimyra almutawafaa sunat 900hi,tahqiqi:'ihsan eabaas,alnaashir:muasasat nasir lilthaqafati-birut,altabeatu:althaaniat sanatan 1980 ma.

36- subul alsalam laeizi aldiyn muhamad bin 'iismaeil bin salah bin muhamad alhasani, alkahlani , alsaneani, almaeruf bial'amir almutawafaa sanat 1182hi,alnaashir: dar alhadithi.

37- sunan 'abi dawud li'abaa dawud sulayman bin al'asheath bin 'iishaq bin bashir al'azdii, alssijistany almutawafaa sanat 275h,tahqiqa: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid,alnaashar: almaktabat aleasriatu- bayrut.

38- sunan aibn majah li'abaa eabd allah muhamad bin majah alqazwini, almutawafaa sunatan 273h,tahqiqa: muhamad fuad eabd albaqi,alnaashir: faysal eisaa albabi alhilbi-misr.

39- sunan altirmidhii li'abaa eisaa muhamad bin eisaa bin sawrt bin musaa altirmidhii almutawafaa sanatan 279hi, tahqiqi:'ahmad muhamad shakir(ji 1, 2),wmuhamad fuad eabd albaqi(ji 3).

40- alsunan alkubraa li'abaa eabd alrahman 'ahmad bin shueayb bin eali alkharasani, alnasayiyi almutawafaa sunatan 303h,tahqiqu: hasan eabd almuneim shalbi,'iishraf: shueayb al'arnawuwt,alnaashar: muasasat alrisalat - bayrutu,alitabeata: al'uwlaa sanat 1421 hi - 2001 ma.

41- sharh al'arbaein alnawawiat fi al'ahadith alsahihat alnabawiat liaibn daqiq aleid almutawafaa sanatan 702hi, alnaashir: muasasat alrayani,alitabeata: alsaadisat 1424 hi - 2003 mi.
42- sharah alzarqani ealaa muataa al'iimam malik limuhamad bin eabd albaqi bin yusif alzarqani almisrii al'azharii almutawafaa sanatan 1122h
43- sharh sahih albukharaa liealii bin khalaf bin eabd almalik abn bataal almutawafaa sunatan 449hi,tahqiqu: yasir bin 'iibrahim,alnaashar: maktabat alrushdi- alsueudiatu, altabeatu:althaaniat sanat 1423h - 2003m.
44- alshamayil alsharifat lilsuyutii almutawafaa sunat 911hi,tahqiqu: hasan bin eubayd bahbishi,alnaashar: dar tayir aleilm lilnashr waltawzie .
45- sayd alkhatir lijamal aldiyn 'abaa alfaraj eabd alrahman bin ealiin bin muhamad aljawzii almutawafaa sanatan 597h,enayatun:hasan suidan,alnashar: dar alqalami- dimashqa,altabeata:al'uwlaa sanatan 1425h - 2004m.
46- eidat alsaabirin wadhakhirat alshaakirin liabn qiam aljawziat almutawafaa sanat 751hi,alnaashir: dar abn kathir- dimashqa, altabeata: althaalithat sanatan 1409hi/ 1989m.
47- aleayn li'abaa eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad bin eamrw bin tamim alfarahidi, albasariu almutawafaa sanatan 170h,tahqiqu: d mahdi almakhzumi, d 'iibrahim alsaamarayiy,alnaashar: dar wamaktabat alhilal.
48- ghurayb alhadith liabn aljawzi almutawafaa sunat 597h,tahqiqu:d eabd almueti 'amin alqaleaji, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut , altabeatu: al'uwlaa sanat 1405h - 1985m.
52- fath albari sharh sahih albukharii liaibn rajab alhanbalii almutawafaa sunatan 795hi, tahqiqu:majmueat min aleulama',alnaashir: maktabat alghuraba' al'athariati- almadinat alnabawiati,altabeatu:al'uwlaa sanat 1417 h.
53- fatah albari sharh sahih albukharii liabn hajar aleasqalanii almutawafaa sanatan 852h , raqm kutubih wa'abwabih wa'ahadithihi: muhamad fuad eabd albaqi, takhrij wtashihu: muhibi aldiyn alkhatiba, taeliqu: eabd aleaziz bin eabd allh bin bazi, alnaashir: dar almaerifat - bayrut sanat 1379h.
57- alkafi fi fiqh al'iimam 'ahmad limuafaq aldiyn eabd allah bin 'ahmad bin muhamad bin qudamat almaqdasi ,

aldimashqi, alhanbulaa almutawafaa sanat 620hi,alnaashir: dar alkutub aleilmiat -bayrut ,altabeati: al'uwlaa sanat 1414 hi - 1994 m.

58- allamae lieabd allah bin ealaa bin yahyaa alsiraaj altuwsaa almutawafaa sunatan 378h , tahqiqu:d eabd alhalim mahmud,wtah srur,alnaashir:dar alkutub alhadithatu-misr sanat 1380h 1960m.

59- almajmue sharh almuhadhab mae takmilat alsabakii walmutieii lilnawawii almutawafaa sanat 676h ,alnaashir: dar alfikir-birut.

63- madarij alsaalikin bayn manazil 'iiaak naebud wa'iiaak nastaein liaibn qiam aljawziat almutawafaa sanatan 751h,tahqiqu: muhamad almuetasim biallah albaghdadii, alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayrut, altabeatu: althaalithat sanatan 1416 hi - 1996m.

64- murqaat almafatih sharh mishkaat almasabih linur aldiyn eali bin muhamad almala alharawy, alqariyi almutawafaa sanat 1014h , alnaashir: dar alfikri- bayrut, altabeata: al'uwlaa sanat 1422h - 2002m.

65- mureaat almafatih sharh mishkaat almasabih lieubayd allah bin muhamad eabd alsalam bin khan muhamad bin

70- muejam aistilahat alsuwfiat lieabd alrazaaq bin 'ahmad bin muhamad alkashanaa almutawafaa sanat 730h,tahqiqu:eabd aleal shahin,alnaashir:dar almunar-alqahirat,altabeatu:al'uwlaa sanat 1413h .

71- muejam albuldan li'abaa eabd allah yaqut bin eabd allah alruwmi alhamawi almutawafaa sanatan 626hi, alnaashir: dar sadr- bayrut, altabeata: althaaniat sanatan 1995 ma.

72- almuejam alwasit min talif majmae allughat alearabiat bialqahirat,alnaashir: dar aldaewati.

73- muejam mustalahat alsuwfiat lilduktur eabd almuneim alhafnaa , alnaashir:dar almuyasarat 1407h - 1987m.

75- muejam maqayis allughat li'abaa alhusayn 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwini, alraazi almutawafaa sanatan

76- almuntaqaa sharh almawata'i li'abaa alwalid sulayman bin khalaf bin saed bin 'ayuwb altajibi, albaji,

77- minhat albari bisharh sahih albukharii almusamaa tuhfat albari li'abaa yahyaa zakaria bin muhamad bin

78- almughaniy ean haml al'asfar fi al'asfar, fi takhrij ma fi al'iihya' min al'akhbar ,matbue

79- almafham lamaa 'ushakil min talkhis kitab muslim li'abaa aleabaas 'ahmad bin eumar bn 'iibrahim alqurtubii

80- almakayyl walmawazin alshareiat lil'ustadh alduktur ealaa jumeat muhamad , alnaashir:alquds lil'iielan
81- manar alqariy sharh mukhtasar sahih albukharii lihamzat muhamad qasim ,murajaeat: alshaykh eabd alqadir
82- manazil alsaayirin li'abaa 'iismaeil eabd allh bin muhamad bin ealiin al'ansari, alharawii almutawafaa sanat 481hi, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut.
83- almanthur fi alqawaeid alfiqhiat li'abaa eabd allah badr aldiyn muhamad bin eabd allah bin bihadir alzarkashii
84- almuntalaq limuhamad 'ahmad rashid ,alnaashir:muasasat alrisala
85- alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaaj lilnawawii almutawafaa sunatan 676hi,alnaashir: dar 'iihya'
86- almuhadhab faa akhtisar alsunan alkabir limuhamad bin euthman bin 'ahmad aldhuhbaa almutawafaa sanat 748h
87- alnihayat fi gharayb alhadith wal'athar limajd aldiyn 'abaa alsaeadat almubarak bin muhamad bin muhamad bin
88- nil al'awtar limuhamad bin ealii bin muhamad alshuwkani, alyamaniu almutawafaa sunat 1250hi, tahqiqu:
89- almawsueat alkamilat lil'iimam muhamad alkhadar husayn almutawafaa sunat 1377h , alnaashir:dar alnawaya-
suria ,altabeatu:al'uwlaa sanat 1431h.
90- alwabil alsiyb min alkalm altayib liabn qiam aljawziat almutawafaa sunat 751hi,tahqiqu: sayid 'iibrahim,alnaashar: dar alhadith - alqahiratu, altabeatu: althaalithat sanat 1999 mi.